اللسانيّات العربيّة

Allisaniyat Al Arabiyah

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك
عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
العدد -1 يناير 2015م الموافق - ربيع الأول 1436هـ

- تصور السمات الدلالية، نموذج فتجنشتاين وبعض امتدادته في النظرية اللسانية الحديثة
- أوراق لسانية نقدية : قراءة في تصورات اللسانيين العرب المعاصرين لطبيعة العلاقة بين لسانيات التراث واللسانيات الحديثة
- الأداء الحِجَاجي وبلاغتُه في كتاب الخطابة لابن سينا
- التصور الاستعاري للزمن : من إدراك اللغة إلى إدراك الذهن
- الإسناد في النحو والخطاب
- القيم الإنسانية في مقررات تعليم اللغة العربية لغةً أجنبية.
- تصور مقترح لتعلم اللغة العربية تواصلياً في ضوء معايير الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات
- المُترجِمُ منير بعلبكي ومعجمُه (المورد) دراسة في علم المعجم وصناعته

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

اللسانيات العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الأول - ربيع الأول 1436هـ - يناير 2015 م

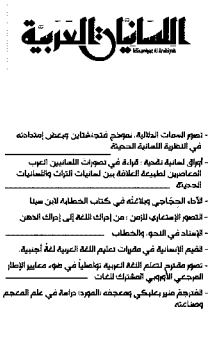

هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ.د عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي

مدير التحرير

د. ناصر بن عبدالله الغالي

عضو هيئة التحرير

د. محمد لطفي الزليطني

أمين المجلة

عبدالعزيز بن عبدالله المهيوبي

الهيئة الاستشارية

أ.د. إبراهيم بن مراد (تونس)

أ.د. بسام بركة (لبنان)

أ.د. سعد مصلوح (مصر)

أ.د. علي القاسمي (العراق)

أ.د. محمد صلاح الدين الشريف (تونس)

أ.د. محمد غاليم (المغرب)

أ.د. محمود إسماعيل صالح

(المملكة العربية السعودية)

أ.د. محمود فهمي حجازي (مصر)

أ.د. نهاد الموسى (الأردن)

أ.د. يوسف الخليفة أبو بكر (السودان)

الإسهامات

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير

ص.ب2988 الرياض18452

المملكة العربية السعودية

هاتف 47215698 - فاكس4752369

http://www.kaica.org.sa

للاشتراكات السنوية

مراسلة بريد المجلة

arabiclisa@kaica.org.sa

في هذا العدد

تصور السمات الدلالية، نموذج فتجنشتاين وبعض امتداداته في النظرية اللسانية الحديثة.

أوراق لسانية نقدية:قراءة في تصورات اللسانيين العرب المعاصرين لطبيعة العلاقة بين لسانيات التراث واللسانيات الحديثة.

الأداء الحِجَاجي وبلاغتُه في كتاب الخطابة لابن سينا.

التصور الاستعاري للزمن: من إدراك اللغة إلى إدراك الذهن.

الإسناد في النحو والخطاب.

القيم الإنسانية في مقررات تعليم اللغة العربية لغةً أجنبية.

تصور مقترح لتعلم اللغة العربية تواصليا في ضوء معايير الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات.

المُترجمُ منير بعلبكي ومعجمُه «المورد» دراسة في علم المعجم وصناعته.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

التصور الاستعاري للزمن: من إدراك اللغة إلى إدراك الذهن

د. عبدالكبير الحسني*

تقديم

تعتبر دراسة الزمن من أعقد الإشكالات التي واجهت البحث العلمي على الرغم من كل محاولات علماء النفس الذين ظلوا يدرسونه على مدى سنين طويلة، إلا أنهم بالكاد استطاعوا أن يبدؤوا في رسم وفهم ملامح تعقيداته، فأخذت تصاغ مع علم النفس المعرفي / والعصبي لوحة أكثر وضوحا للنسق الزمني سواء على مستوى التركيب أو الدلالة.

فدراسة الزمن، باعتبارها موضوعة استعارية، ظلت مشغولةباستمراراباستحضار التجربة وحوسبتها، مشغولة بالشكل الذي نختزل فيه معارفنا، كيف نحصل على المعلومة الزمنية؟ كيف نتصورها؟ وكيف نوظفها عندما تظهر الحاجة إليها؟ كلّ واحد من هذه الأسئلة يشكل جزءا من مشكلة الزمن، كلّ من هذه الأسئلة يدخل في سياق الطرق المتاحة لرسم ملامح النسق الاستعاري للزمن في اللغة العربية، بل إن هذه الأسئلة تعدّ مفتاحا سحريا لفك لغز بعض الخبايا الداخلية للزمن في العربية.

عند دراسة النسق الاستعاري للزمن كمكوّن من مكونات النشاط المعرفي، فإننا نفترض أن العلاقة الأساسية لذلك يتم زخرفتها وفق ارتكازها على العمليات الإدراكيةالتي يشتغل بها الذهن البشري، وليس حول مقتضيات سلوكية ترتكز على المنبهات والاستجابات، فإذا كانت هذه «العلاقة» المشار إليها هنا هي بين (النسق الاستعاري) و(النشاط المعرفي) فليس البحث فيها سوى تطور إبستمولوجي في دراسة (الاستعارة). هذا التطور هو الذي «حوّل» النظرة العلمية إلى (الزمن)، أو حوّل التفسير العلمي للزمن، من المعالجة (السلوكية) إلى المعالجة (الإدراكية). وفي هذه المعالجة الإدراكية لا تُستبعَد (التجربة) وإنما لا يُكتَفى بالوقوف عندها، ولا عند التعبير اللغوي الرامز إليها، باعتبارها الرصيد الذي يُشرَّح بناءً على طرائق بناء التجربة وتعبيراتها، وطرق التعامل معها، وكيفية استخدامها واختزالها، أو باختصار طرائق معالجتها في البنية التصور(Concept structure)، فيتحدد الإشكال المحوري لنا في فهم وتفسير الدور المركزي للغة والتجربة في تأصيل عمليات الإدراك ذهنيmental perception))، لأننانستند في ذلك إلى المبدإ العام الذي نؤكد من خلاله أن إدراك الزمن ليس جزءا من قواعد اللغة ولا معجمها، بل هو جزء من النسق الذهني لها، وبالتالي تتحول اللغة من غاية في ذاتها إلى وسيط نفهم من خلاله طرق اشتغال الذهن البشري.

* أستاذ باحث – المغرب-

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

١. حول إدراك الاستعارة

يُـدرك المبـدأ العام الذي نفهم مـن خلاله مجال الزمن من خلال السـياق التالي مثلا: «وصلت علاقتنا إلى طريق مسدود». إذ يبنى التصور هنا من خلال مسار زمني مشترك يسمح لهما بالتقدم نحـو الأمام وكأن العاشـق ينفي رحلة، لتنطوي الاسـتعارة على فهم مجـال معين من التجربة ؛ بمعنى أن نفهم الاسـتعارة على أنها جزء من مكونـات الخرائط المعرفية (mapping) التي يتم نسـخ عناصرها من مجال المصـدر إلى مجال الهدف، وقد اعتمد «لايكوف وجونسـون»(1980(في كتابهما «الاسـتعارات التي نحيا بها» على استراتيجية لتسمية حالات النسخ هاته واستعملا الكثير من الأنساق الاستعاريةالتي غالبا ما تكون عبارة عن أسماء متعلقة بها على الشكل التالي: المجـال الهدف هو المجال المصدر، أو كبديل لذلك، المجـال الهدف كالمجال المصدر، وفي هذه الحالة سيكون اسم حالة النسخ هو الزمن/بضاعة، الحب /رحلة، الزمن/ مدة، المدة/ لحظة...

وقد جمع « لايكوف وجونسون» (1980)كل هذه المعطيات في شكل تعميمات صاغاهاعلى الشكل التالي:

إن الاستعارة عبارة عن حالة «تصوير إدراكي،، تصف تعميمات من قبل:

تعميمات الحاكمة لتعدد المعاني: وهي القاعدة التي تقرّ بوجود معانيمترابطة بتعابير لغوية متعددة، ومن الأمثلة على ذلك نذكر: طريق مسدود، مفترق الطرق، تسير نحو المجهول...

تعميمـات التي تحكم مناويلالاسـتنتاج: هـو تعميم يقدم مجموعة من الاسـتنتاجات عبر مجـالات تصوريـة مختلفة، وهنـا التأكيد على وجـود عمليات اسـتنباطية، أي الحالات التي يسـتعمل فيها منوال من الاسـتنتاجات المسـتنبطة من مجال تصـوري في مجال آخر، ففي الاستعارة الإدراكية [الحب/رحلة] مثلا تستعمل الاستنتاجات المستنبطة من تجربة الرحلة في استنتاجاتنا عن تجربة الحب.

فمـن وجهة نظر المحلل اللغوي، فإن «لايكوف وجونسـون» (1980) أكدا أن هذه الألفاظ المتزاوجـة والعابرة للمجالات تعطي الدليل على وجود حالات إدراكية متعددة ومتنوعة. ومن وجهـة نظرنـا فإنها تعطينا أدلة على أن الذهن البشـري يشـتغل وفق بنـاء تصوري محكم مستنبط من خلال التفاعل الإيجابي مع التجربة.

١-١ نظرية الاستعارة التصورية.

تعـدّ نظريـة الاسـتعارة التصوريـة (Conceptual metaphor theory)المقدمـة في عمل لايكوف (1993) عملا متطورا داخل اللسـانيات المعرفية، إذ تشـكل نهجا أو مقاربة لتنظيم التصورات وبنائها، والتي سـبق وأن نوقشت بشـكل كبير داخل العلوم المعرفية بشكل عام، إلاأن الفكرةالمحورية التي تتأسـس عليها النظرية تقوم عـلى بناء مجال معرفي أكثر تجريدا مثـل: الزمـن / الوقـت في علاقته بمجـال آخر مجرد هو الفضـاء. هذه العلاقـة يمكن التعبير عنها بمفاهيم اسـتعارية تحيل على الزمن عبر متغيرين زمنيين أساسـيين هما: حركة الأجسام (motion of object) ومسار الزمن(path of time) (طول أو قصر الحركة).

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

تبعا لذلك، قد يبدو للوهلة الأولى أن هناك تمايزا بين نظرية الاستعارة التصورية ومقاربة التصورات المعجمية مما يعطينا بعدا مقلقا قابلا للزحزحة، خصوصا إذا ما تم ربط بنية التصور الاستعاري بمفاهيم معجمية من قبيل الزمن، الشيء الذي يفسح المجال أمامنا لوضع مجموعة من الانتقادات التي قد تشكك في الطريقة التي يتم من خلالها «الإسقاط التصوري» (conceptual projection) من أجل توفير تمثيل تصوري ذي بنية إضافية أكثر تجريدا.

1-2 مشكل التجريد

تحركت في السنوات الأخيرة نظرية الاستعارة التصورية نحو البحث عن تمثيلات أكثر تجريدا للأنماط الاستعارية، وهو الوضع المقدم في» لايكوف وجونسون»(1999)، إذ ثمة الإشارة إلى وجود اختلاف وتمايز بين نوعين من الاستعارة، الاستعارة الرئيسية والاستعارة المركبة، إذ تتصل الاستعارة الأولى بإجراء نسخ أو تعيينات أولية بين التصورات التي تستمد من الجوانب الأساسية للتجربة الذاتية والحسية، إلى جانب ذلك، فالاستعارة هنا تعدّ أساسية من جهة، ومن جهة أخرى فإن لها تأثيرا مباشرا في تكوين الاستعارات المركبة،لأنها تعدّ نتيجة اندماج بينهما، بمعنى آخر، فالاستعارة الأولى تعدّ بمثابة أوليات تصورية (conceptual primitives) يمكن من خلالها بناء تمثيلات تصورية مجردة، ومع ذلك، فهي تمتلك نسبة أو مستوى عاليا من التجريد يتحدد من خلال الإجابة عن سؤال ما هو الزمن؟

أ.الزمن هو حركة الأجسام.

ب.الزمن هو طول الحركة.

وبناء عليه، تم اقتراح مسار منهجي يبحث في الاستعارات الأولية بمفاهيم مجردة تماما، إلا أن المشكل هنا، يكمن في وجود مجموعة من التصورات المعجمية التي تمتاز بالزخرفة وعدم الاستقرار من حيث أحداث الحركة، وهو الأمر الذي يتبلور جليّا في حركة الأجسام وطول هذه الحركة. إذ إن حساب مسار مجموعة من أحداث يساعدنا على استنباط العديد من المتغيرات نستطيع أن نتحسس من خلالها المدة، اللحظة، الحدث، ونظام القياس الزمني. بمعنى أدق فطول الحركة، باعتبارها تمثل للاستعارة أولية، تساهم بشكل كبير في مساعدتنا على بناء العديد من التصورات الأخرى التي نتحسسها من منطلق هذه الأوليات (حركة الأجسام) و(طول الحركة)، فنستطيع، تبعا لذلك، بناء العديد من الاستعارات المركبة التي تعطينا مفاهيم من قبيل: مدة اللحظة، مدة الحدث، وثيرة المصفوفة، ومدة القياس الزمني، الشيء الذي لا يمنع من أن نعترف أن الاستعارة الأولية تجري على مستوى عال من التجريد، ومع ذلك لا يمكن أن تكون وسيلة تنبؤ، ولا تستطيع أن تُحوسب التصورات التي تكون على درجة عالية من التجريد (الوقت، الزمن، الفضاء) خصوصا حركة الأحداث التي يمكن لها (كما لا يمكن لها) أن تعمل على زخرفة بنية التصورات المعجمية الذاتية.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

يتجسد المشكل هنا في أن هذا الاقتراح قد يجعل من الاستعارة التصورية الأساسية والاستعارة الأولية استعارتين مؤسستين على مستوى عال من التجريد، ممّا سينعكس بشكل واضح على تمثلاتنا التصورية، فاستنادا إلى الأدلة اللغوية التي نوقشت بطريقة مجردة، فإن الاستعارات الأولية مثل الساعة، وحركة الجسام، طول الحركة، قد تكون مسارا مفضلا لبناء قوالب معرفية مركبة تتجاوز حدودها المعرفية لتستهدف أنماطا تصورية محوسبة ودقيقة.

1-3 مشكل الواقعية النفسية.

المشكلة الثانية الكبرى التي تطرح بخصوص نظرية الاستعارة التصورية هي الواقعية النفسية لها، لأننا عندما نتحدث عن مستوى البنية التصورية الأساسية نجدنا أمام موقف شك من منطلق الأسباب القوية التي يبقى أبرزها أن الاستعارة الأولية تشكل حلقة ربط بين تمثلاتنا للصّور والاستجابة لها ضمن مجالات تصورية متميزة، إذ يفترض حتى الآن، أن هذا النوع من الاستجابة يكون مسؤولا عن إنتاج تصورات بسيطة وأحادية التجربة، إلى جانب ذلك، أن العلاقة بين الاستجابة وتمثلات الصور تعدّ واقعية نفسية(psychological reality(معقدة بمشكلتين اثنتين، مشكلة الإدراك ومشكلة الإنتاج.

فهذه الأدلة التي يستند عليها الكثير من دارسي الاستعارة تتصل بجوانب مختلفة من التجارب الزمنية وأحداث الحركة، إلا أن أي نوع من هذه التجارب لا يمكن أن نعدّه حجة قوية ندافع من خلالها عن مشروعية تجربة واحدة. فعندما نقول مثلا: »حان وقت العمل«، أو »مرت الدقائق بصعوبة عليّ«. فإن الأمر يؤشر على حدوث لحظة زمنية، وهي اللحظة التي تم التعبير عنها مسبقا بقدوم مرحلة أو فترة عمرية يجب على الإنسان أن يتحمل فيها مسؤولية بناء مستقبل له في المثال الأول، أما في المثال الثاني فترتبط قراءته بتجربة الضغط الزمني؛ أيأن مرور الدقائق بصعوبة يشعرنا كما لو أنّها ساعات أو سنوات، فهناك شيء غير طبيعي يفرض نفسه علينا ويتحكم في إحساسنا. أما لو تم تحليل هذه الأمثلة من حيث معيار الحركة، فإننا عندما ننتج عبارات من قبيل ما تم تقديمه في المثال الأول فإننا نجعل من الذات مركز محور الحركة تبنى عليها كل المؤشرات الإحالية، في حين أنه في المثال الثاني يستخدم الوقت باعتباره حدثا يؤشر على حركة بطيئة للغاية نستشعر حجمها، فكلّما طالت زاد حجم معاناة الذات وعذابها، فتتحول الدقائق، من حيث التصور، إلى ساعات وشهور.

فهذه المعطيات تمنحنا الفرصة للقول إنّه لا يوجد للوقت معنىواحدا، لسبب بسيط كونه لا يتعلق بتجربة ظاهراتية ‹›بسيطة‹‹، خصوصا أن الأدلة اللغوية تشير إلى عدم وجود أي نوع من المؤشرات التي قد تحيل على إمكانية بناء تصور موحد له، فاللغة العربية إلى جانب العديد من اللغات الأخرى (الفرنسية والانجليزية والاسبانية...) تتصل معانيها بطبيعة التجربة الذاتية مع الزمن، فاستقراء المدة أو اللحظة أو المصفوفة لا يمكن أن يبسط إلا بالنظر إلى طبيعة الإحساس بذلك، والبحث في علم النفس وعلم الأعصاب أكدا ذلك بشكل واضح، بل وتدعّم هذا الاستنتاج على أسس معرفية وفكرية قابلة لكي تلاحظ وتفسّر وفق خطوات منهجية وعلمية قوية.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

وعليــه، فــإن الاســتعارات الأولية تمثــل أعلى مســتويات التجريد، لا نعتمــد في تحديدها عــلى المعطيات اللغوية المســتعملة، ولا ترتكز في بنائها على أدلة مدعمة من المســتويات العصبية وحس- حركية، بل تستنتج من حيث مقبوليتها النفسية وقابليتها للزحزحة والإزعاج الفكري في أي وقت.

بناء عليه، فالشــيء الوحيد الذي نؤكد عليه، أن مبدأ الإســقاط التصوري الذي يربط بين الزمــن ككيان مجرد وبين تحققاته الفيزيائية لا يمثل لنّا مشــكلة في حدّ ذاته عندما يرتبط بالاستعارة التصورية، بل الاقتراح هو أن الإسقاط التصوري نفسه، غير قابل للتصديق بالنظر إلى الواقعيــة النفســية، هذا يعني أن الأنمــاط التقليدية للصور ترتبــط بتصورات معجمية متميــزة للوقت، وبالتالي فالاســتعارة الأولية لا يمكن أن تشــكل مســتوى مقبولا وثابتا من الناحية النفسية خصوصا عندما ترتبط بالتمثيل التصوري الأساسي لها.

4-1 مشكل المعنى.

من الملاحظ حتى الآن أن تصورتنا هي مرايا عاكســات للمشــاعر والأحاســيس، معابر وجسور للتجربــة، روابط مع التاريخ وإســقاطات للرغبات، فإذا كانــت التصورات قد وضعت من أجل فرز حــدود التمايــز بين الموضوعات كما توجد في العالم وبين تمثيلاتها على مســتوى الذهن، فإن ذلــك قــد ارتبط بمــدى قدرتنا على تشــكيلها ومطاوعتهــا لمحتوى الفكر والإبــداع، وهونفس مــا ذهــب إليه «كاتز وفــودور»(1963) في كتابهما «بنية النظرية الدلاليــة» و«كاتز» (1972(في مؤلفــه «النظريــة الدلاليــة» ، إذ عمــدا علىربط المســتوى التصــوري بالمســتوى اللغوي بواســطة مكون الذريعيــات Pragmatics، كما نصادف من جانب أخر تصــورات أخرى نجد فيها «تشومسكي»(1975) في كتابه « تأملات في اللغة « قد دافع عن فكرة أن البنيات الدلالية تعدّ فرعــا من فــروع البنية التصورية، وتحديدا البنيات التي يعبر عنها باللغة. لذلك ظل الهدف هو محاولة الفصل بين هذين التصورين من خلال تطوير العديد من الظواهر اللغوية التي كثيرا ما تتجاوز البنى اللغوية الأولى إلى البناء الاستعاري الأساسي، ومن الأمثلة التي تبرر ذلك:

أ.اشتعل الرأس شيبا.

ب.يسافر / يرحل/ يقذف بنا الزمن بعيدا.

في اللســانيات الحديثــة، غالبــا مــا تفهم الاســتعارة بوصفهــا كيانا ينطوي عــلى تأويل أو (تصــور) شــيء ما، كما هــو الحال عندما نتحدث عن اشــتعال الرأس بالشــيب، أو من حيث أن الزمــن يمثل كيانا قابلا للحركة يقذف (يســافر/ يرحل) بنا بعيدا ويفعل بنا ما يريد، يملك ســلطة الإرادة وسلطة تمييز الحركة وتحديد نوعها. الزمن كيان قوي وصلب يلعب بمصيرنا، ويتخذ قراره منفردا في إقصاء تام لموضوعاته، إلا أن وجهة النظر التي تقدمها فلسفة اللغة وعلم الدلالة تفترض أن اللغة الاستعارية هي نوع من الانزياح، إلا أن الأمثلة الواردة هنا تفند ما قيل، لأن حدود التمايز القائمة بين اللغة الحرفية تؤســس على قاعدة المرجع، في حين أن اللغة التصورية تتطلب نوعا من التجهيز الإضافي لفهم محتواها وكشــف مقاصدها ودلالتها.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

فـلا يمكن أن نقف عند حدود فعل الاشـتعال بمعناه اللغوي المتعـارف عليه، بل إن التجهيز التصوري الذي نملكه يجعلنا نتجاوز القائمة اللغوية وندخل في الجوانب فوق- لغوية -Meta linguisticالكيندرك أن الاشـتعال هنا يحمل سـمات أخري لا علاقة لها بالنار، الشـيء نفسـه عندما نتأمل المثال الثاني، فإذا كانت مداركنا مجهزة لكي تتحدث عن السفر والقذف والترحال مـن زاوية الانتقـال وقابلية الحلول في المـكان والفضاء، فإن الاعتبارات الاسـتعارية تحمل الزمن ما لا طاقة له به إلا من حيث رسمه لفضاء مساري يراعي خصوصية المصدر والهدف.

هـذه المقتضيـات هي التي حفزت مؤخرا كل من «لايكوف وجونسـون»(1999) على كشـف أن بنياتنا التصورية للاستعارة تعدّ أمرا أساسيا في بناء نسقنا المفاهيمي عبر تنظيم المعرفة بطريقة منهجية، الشيء الذي ينسجم مع طريقة تصورنا للزمن استعاريا من خلال جرد الأمثلة التالية:

أ.اقترب عيد ميلادي.

ب.حان وقت اتخاذ القرار.

ج.مرّ الوقت بسرعة.

د.اقتربت لحظته المفضلة.

في ظل هذه السـياقات تعدّ نظرية الاسـتعارة التصورية، مؤثرة جدا في سـياق البحث عن الطـرق التي تشـتغل من خلالها الاسـتعارة، على الرغم مـن كونها تعاني من عديد المشـاكل أهمهـا أنها ظلت تركز كل اهتمامها على الظواهر اللغوية، فهي ليسـت نظرية مسـاهمة في تنظيـم اللغة، كما أنها ليسـت نظرية تعنى في المقام الأول ببنـاء طبيعة المعنى اللغوي، فهـي تشـعرنا بالقلـق إزاء اسـتخدام اللغـة كأداة منهجيـة لاسـتنتاج وجود بنـاءات لغوية ومعرفية مسـتقلة، فالاسـتعارة التصورية تم الاسـتدلال عليها بتعابيـر لغوية حتى الآن، إلا أن الهـدف الـذي نتوخى من خلاله البحث هو العمل على وضع حوسـبة معرفية — لغوية لكل الوظائف اللغوية التي ترتبط دلاليا بالكلمة في بناء المعنى الاسـتعاري، وسـوف نحاول أن نبرهـن أنه يمكن للاسـتعارة أن تتأسـس على مقاربـة الدلالة اللغوية المتجسـدة في نظرية التمثيـل(RepresentationTheory)، ونظرية بناء المعنى المعجمي(Lexical Construction Meaning Theory)، إذ تمثل كل من اللغة الحرفية والاستعارة مجموعة متكاملة من الآليات التي تتداخل في تشكيل المعرفة اللغوية والمعرفة الاستعارية، إلا أن هذا الافتراض قد يدفع إلى اعتبار المسألة تفريعا رمزيا Sub-Symbolic للمعرفة له ما يبرره نظريا.

إن أهـم مـا تطرحه نظرية الاسـتعارة التصورية هـو تمثيلها لإحدى أقـرب المقاربات في اللسانيات المعرفية وأكثرها جرأة في حوسبة تصوراتنا وتمثلاتنا، وهي نظرية شملتها العديد مـن التطـورات في الآونة الأخيرة إلى درجة أن هذا الأمر أصبح يشـكل قلقا في حد ذاته، لذلك فإنه من السابق لأوانه أن نعطي استنتاجات تفيد أن نظرية الاستعارة التصورية قد اقتربت من أن تعدّ نموذجا مقبولا ومثاليا لتنظيم تصورتنا، بل الأكثر من ذلك، فإن هذه النظرية لا تزال عبارة عن برنامج لم تكتمل كل ملامحه.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

2 - تصورات استعارية نحيا بها

إذا كانت الاستعارة في الأساس نسقا تصوريا، فهي تعطينا الحق في بلورة تفكير يجعل من اللغة الاستعارية مظهرا من مظاهر البنية السطحية للاستعارة التصورية، لأن الفهم الاستعاري يقوم على أساس الفهم غير الاستعاري، لذلك فهي تنتج لنا فهم مجموعة من الكيانات المجردة بطبيعتها «كالزمن» على الرغم من أننا لا نتوفر على آليات لاكتشافهذلاوري.بشرية، ومن ثمة يبنى المعنى المعجمي بوصفه خرجا لما هو إدراكي يجب أن يكون عاما تلتقي فيه كل التمثيلات القادمة من مختلف ال. فإذا كان من الأرجح أن يُفهم الزمن بلغة الحركة والأشياء، فسيكون لذلك دلالة بيولوجية جيدة لكون المسألة هنا تتجاوز البعد الفيزيائي له ليتصل بآليات التحليل البيولوجي. لأننا لا نتعامل مع الزمن من حيث هو مكون نؤشر من خلاله على الماضي أو الحاضر أو المستقبل، بل نحاول أن نكتشف أن للزمن تأثيرات نفسية داخلية لا نمايزها إلا من خلال حركة الأشياء حولنا.

إن النظرية الأكثر جدية والأوسع انتشارا بشأن الزمن الاستعاري تعود تاريخيا إلى عمل لايكوف وجونسون (1980) «الاستعارات التي نحيا بها» الذي أوحى لنا إمكانية التحدث عن الأنساق التي تتدخل في بلورة الزمن بالشكل الذي نتصوره، هو التصور الذي نُظّم في شكل مجموعة من الفرضيات التي حاول المؤلفان أن يدافعا عنها، خصوصا تلك المرتبطة بأن التصورات التي تتحكم في تفكيرنا ليست ذات طبيعة ثقافية محضة، فهي تتحكم أيضا في سلوكياتنا اليومية البسيطة بكل تفاصيلها، إذ يؤكدان أن التصورات تُبنين ما ندركه وتبنين الطريقة التي نتعامل بواسطتها مع العالم، قبل أن يستخلصا أنه إذا كان صحيحا أن نسقنا التصوري، في جزء كبير منه، ذو طبيعة استعارية، فإن كيفية تفكيرنا وتعاملنا وسلوكاتنا ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة. إلا أن الافتراض الأهم الذي انطلق منهالكتاب، هو أن الاستعارة لا ترتبط باللغة، بل على العكس من ذلك، فسيرورات الفكر البشري هي التي تعدّ استعارية في جزء كبير منها، فالاستعارات في اللغة ليست ممكنة إلا لأن هناك استعارات في النسق التصوري لكل واحد منا.

إلا أن الشيء المثير للاهتمام أننا نتعامل في بناء نسقنا التصوري على معطيات لغوية ممكنة التحقق، فلكي يكون لنا نسق تصوري استعاري يجب أن ترتبط تلك التجارب بسلوكاتنا وإدراكنا وتصوراتنا حتى يتسنى لنا التفاعل مع العالم الذي نعيش فيه ونعيه، بناء على خطاطات معرفية تتكون في أذهاننا نتيجة تواترها في تجربتنا الشيء الذي سندافع عنه من منطلق أن التصورات التي نشكلها عن الزمن هي التي تمنحنا إمكانية التعبير عنه استعاريا، عوض ذلك نجد أن بناء النسق الاستعاري الزمني يحمل معنى معينا على الرغم من كونه يتجاوز المواضعات الدلالية للغة لأنه بنية مجردة مُتَصوّرة، فإذا كان النسق الاستعاري يتجاوز المواضعات الدلالية للغة، فكيف له أن يفسّر مواضعات أكثر تجريدا مبنية أصلا على التصور؟

لهذا السبب فإن دراسة الاستعارة من منظور زمني شيء يتجاوز المألوف بدرجتين لأنها

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

تمنحنا فرصة لكي نكشف عن البعد التواصلي الذي يربط بين المعنى اللامتغير والمعنى المرمز (encoded) في لغة ما، وهو اختصاص علم الدلالة، من ناحية، وبين العناصر المطابقة لمعرفتنا بالعالم الخارجي، وهو اختصاص الذريعيات (Pragmatics) من ناحية أخرى.

لكن النظرية المعاصرة للاستعارةكما وردت عند «لايكوف» (1993) لا تؤكد أن هناك بعدين خفيين يعتبران في الأصل بعدا واحدا، بل تؤكد أن هناك بعدا واحدا يستوجب الإشارة إليه باعتباره مركز العالم الخارجي. إن ما يقرر إشارتك إلى المعنى المقصود هو الذي تتأسس عليه الاستعارة، لأنك تحيل ضمنيا على الزمن مثلا من خلال المدة أو اللحظة أو الحدث أو المنفذ... مع استحضار ضمني إلى الوسائط الممكنة التي استنبطتها من تجربتك مع المحيط أو العالم الخارجي. وعليه نفرض أن الوسائط التي يمنحها المحيط إليك، وبالنظر إلى نوع وطبيعة التجربة، هي التي تساهم في بناء نسقنا الاستعاري للزمن تصوريا.

2-١ التصور الاستعاري للمدة.

لماذا نقدر الاستعارة كل هذا التقدير العالي؟ كيف اقتحمت حياتنا بهذا الشكل المهول حتى أصبح يبدو جليا أننا لا يمكن البقاء بدونها، بل إن دورها في بلورة النسق اللغوي يعدّ أمرا ضروريا لكونها تدخل في تكوين أفكارنا وتصوراتنا التي يمكن أن توصف على أنها عقلية ومادية في الوقت ذاته، فبقدر ما يظل الإنسان كيانا مستقلا وفرديا وقابلا للتمييز، يبقى بالإمكان وصفه بأنه يملك تجارب تتحول إلى نقط واضحة، كلّ نقطة تكتسب أهميتها الكبيرة عندما ننتقل إلى إحالة زمنية محددة، فينتقل التعبير عنها من مجرد حدث عرضي إلى بنية إحالية تؤشر على معطى زمني محدد يعبر عنه بالمدة أو اللحظة... وبالتالي تكتسب قوتها الدلالية من زاوية تجاوز اللغة الحرفية إلى «الميتا- لغوية» في إشارة واضحة إلى الاستعارة وما تؤشر عليه، ولتوضيح ذلك يمكن أن ننظر في نسق الأمثلة التالية:

أ.يندفع الوقت بسرعة مفرطة.

ب.تسلل الوقت دون أن نشعر به.

ج.يبدو لي أن الوقت قد توقف وأنا في موقف حرج.

إن كل هذه السياقات تؤشر على تجارب ملموسة مع الواقع، إذ يحمل الزمن فيها إشارات تحيل على الضغط أو طول أو قصر المدة، إلا أن السؤال المطروح من أين لنا بكل هذه التصورات؟ وكيف تم ربط أفعال من قبيل يندفع، يتسلل، يتوقف... بالزمن الذي لا علاقة له بذلك؟

إذا كان نسقنا اللغويمبنينعلى ما ندركه من تصورات عن العالم الخارجي، فإن الإحساس والشعور بذلك يخص الجانب البيولوجي المصمم في أنظمتنا الحسية، على اعتبار أننا نملك كاشفات للحركة وكاشفات للأحداث لكن لا نملك كاشفات للزمن، ومن تم فإن المعنى البيولوجي Biologicalmeaningيجب أن يفهم من منطلق الأشياء والحركة، على الرغم من أن هذه القراءة قد تبدو في مجملها غير مقنعة لأن هناك دليلا عمليا يتمظهر في أن البشر

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

يدركون ويشـعرون بمرور الوقت، بل ويُقيّمون مدة مروره دون أن تكون هناك آليات قابضة على ذلك، إلا أن الشـيء المدهش هنا هو مقدرة الإنسـان على إجراء حوسبة واعية بالزمن بناء عـلى طول مدته أو قصرها، أو بناء على الحالة النفسـية التي يشـعر بهـا، فيمرّ عليه الوقت بسـرعة إذا كان في حالـة انشـراح ومرح (أ)، (ب). والعكس تمامـا إذا كان في حالة ضغط كما في(ج)، لذلك تم رسم توافق دلالي بين أفعال توقف/ تسلل/ اندفع في علاقتها بالنسق الزمني للمدة، فتم خرق بنيتها التحتية لتنسجم مع الضغط أو الطول أو قصر المدة.

إذن، نحن قادرون على رسـم وحوسـبة تجربتنا مع الوقت على الرغم أننا لا ندركه بالحاجيات البيولوجية، بل بمعطيات داخلية شـخصية، لذلك فنحن في حاجة ماسة لاستعارات فيزيائية لكـي نعبـر عن الزمـن. ونحتاج إلى اسـتعارات ملموسـة لكي نتكلـم عن الترجمـات الداخلية للعواطـف أو الأفكار أو الأحاسـيس.أو بصيغـة أكثر دقة نحن في حاجة إلى إسـقاط تصوري يربط بين الحاجيات البيولوجية وترجماتها الداخلية.

تملك الاسـتعارة، بهذا المعنى، سـلطة قوية علينا، وتتحكم بشـكل كبير في تعابيرنا عن الزمن، فلولاها لما تمكنا من إخراج النسق البيولوجي للزمن إلى نسق لغوي مكشوف، وعليه، فكيف يتم رسم حدود التوافق بين الأفعال المذكورة في الأمثلة السابقة وبين النسق الزمني للمدة استعاريا؟ أو لماذا انسجمت هذه الأفعال مع تعابيرنا الزمنية؟

للكشـف عن السـلوك التوافقي الذي يربط بين دلالة هذه الأفعال وتركيبها نجد أنفسـنا نفتـرض مـع محمد غاليـم (1999) في مؤلفـه « المعنى والتوافق» أن الأفعال تملك سـمات داخلية تقوم بدور حاسم في تصميم بنية الفعل والموضوعات التي سترافقه تركيبيا ودلاليا.

يندفع: (مصدر – هدف) (قوة، جبروت، سلطة...)

يتسلل: (مصدر – هدف) (رفق، سرعة، بطء...)

توقف: (مصدر – هدف) (وصول، هدف، نقطة...)

إذا افترضنا أن هذه الأفعال تملك هذه السمات في بنيتها التحتية، وهي سمات مكبوسة لا تظهر عندما نستحضرها أو نعبر بها، فإن هناك دواع داخلية لا نستشعرها تدفعنا إلى انتقائها دون غيرها، هو الانتقاء ذاته الذي يتضمن قيودا سـياقية تسمى بقيود الانتقاء،إذ تتمظهر وظيفتها في الحصول على قراءة ملائمة ومنسـجمة تراعـي التركيب والدلالة، فإذا كانت كل الأفعال تشـترك في سمات مشتركة، فإننا سنبحث عن العالم المشترك الذي يربط بينها وبين النسق الزمني.

الزمن {مصدر – هدف}

{ ضغط}

{سرعة}

{ بطء}

{ مرور}

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

من أهم المميزات التي تفترضها هذه السمات أنها تخصص المحمولات وتشترط موضوعات خاصة تنسجم معها وتساوقها، وبناء عليه قد تجمع المحصلة على الشكل التالي:

ا: يندفع الوقت: { من - إلى}
{ مصدر – هدف }
{ قوة - سرعة }

2: تسلل الوقت: { مصدر - هدف }
{ سرعة - بطء }
{ سلاسة – مرونة }

3: يتوقف الوقت: { من - إلى}
{ مصدر - هدف}
{ انطلاق – نقطة وصول}

يشرط الفعل «يندفع» أن تكون موضوعاته حاملة لسمات تؤشر على المصدر والهدف، وهي حيّز فضائي محصور بين نقطة انطلاق ونقطة وصول، إلى جانب الأهلية والمقدرة على فعل الشيء، لذلك قد تسقط عنه بنيات من قبيل (يندفع الحائط). الشيء نفسه يُطبق على الزمن الذي توفرت فيه كل الشروط الضرورية والكافية لكي ينسجم والفعل اندفع، ممّا ولّد نوعا من توافق السمات بينها(feature matching)، ومن ثمة حصل الانسجام وكانت البنية صحيحة، فإذا كان الزمن يندفع بقوة، ويتسلل برفق، ويتوقف فجأة، فإن هناك تشخيص معلوماتي داخلي يعمل على رصد ردود أفعالنا الداخلية وتنشيط الحس الداخلي بطريقة مقنعة، ومن ثمة يتم نقل المستوى الفيزيائي لمداركنا إلى سياقات لغوية مستعارة نحوسب من خلالها المدة ونعمل على رصد بدايتها ونهايتها وتقييم حجمها قصيرة أو طويلة ورسم ملامح مرورها بسرعة أو ببطء.

إن أهم معطى تم التطرق إليه هنا يرتبط بمبدأ الإسقاط التصوري الذي أشار إليه «ايفانس» (2004) في كتابه (The Structure of Time)، إذ أكد أن البناء الاستعاري لا يمكن أن يقوم إلا عندما تتحول المعلومات الذهنية إلى آليات وكاشفات نرصد من خلالها الحقيقة السيكولوجية للاستعارة التصورية بناء على تجربتنا الذاتية مع الزمن، هو الأمر نفسه الذي جعلنا نستعير فعل التدفق والاندفاع والتوقف لكي نلبي حاجياتنا التواصلية في تعبيرنا عن المدة الزمنية، فجل التصورات المرتبطة بذلك، غالبا ما تكون استعارية إذ توفر حيزا استعاريا مناسبا نقرأ من خلاله المدة التي نوزعها إلى ثوان ودقائق وساعات وشهور.. بمعني أننا قادرون على وضع مجموعة من الإسقاطات التصورية (المدة مثلا) على تعابيرنا ومعطياتنا اللغوية والمعجمية ومعالجتها ذهنيا لكي نحصل على بناء استعاري ممكن وسليم، قابل للقراءة والتحليل اللغوي والمعرفي بصورة واضحة تماما.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

2-1-1 استعارة اللحظة.

غالبا ما نتصور اللحظة وكأنها نقطة مفصلية اعتبارا لما أشـار إليه «عبد المجيد جحفة في كتاب «دلالة الزمن في اللغة العربية» (2006) إذ أثبت أنه إذا تصورنا الحدث واقعا في نقطة من الزمن، وتم تحديد هذا الزمن ليشمل أكثر من نقطة داخله، فإن ذلك يتيح ورودات متعددة للحـدث اللّحظـي، إذ تتوزع هذه الورودات على مدة زمنيــة معينة، بعبارة أخرى إذا كنّا نتصور الحدث حاصلا في نقطة زمنية ما، فإنه لا يمكن أن نجعله يتسع ليشمل أكثر من نقطة واحدة في الزمن، وبهذا نحصل على مبدأ استعاري تحيل عليه بالسياقات التالية:

أ.انتهت المهلة المخصصة للانسحاب.

ب.أكدّ الطبيب أن مرض زيد خطير، من الممكن أن يموت في أي لحظة.

ج.أقرّت الأمم المتحدة أن الانسحاب من العراق سيشكل لحظة تاريخية.

إن التفســير المقتــرح لتأويل وقــراءة هذه الأمثلــة يتيح لنا إمكانيــات تنبؤية بخصوص اللحظة، فالسلطة الاستعارية التي منحت في قراءة اللحظة مستقاة من النهج التصوري الذي يجعلنــا دائمــا نحيل عليهــا منفصلة تماما عن عالمها الزمني الخارجــي، إذ لا يمكن أن نقيس حجمهــا بالقصيــرة أو الطويلــة. كما يمكن أن نربطهــا بنقط حدث أخرى خارجــة عن إطارها، بمعنى أدق:

انتهت المهلة وصول لحظة الانسحاب

إصابة خطيرة لحظة تنبئية بوفاته.

الانسحاب من العراق لحظة تاريخية.

عــلى الرغــم من أن الوصول لا يمكــن أن يتم في لحظة واحدة، وعــلى الرغم من أن المرض لم يحدث في لحظة واحدة، وعلى الرغم أن الانســحاب ســيكون على دفعات إلا أننا نؤشــر على اللحظة بناء على كلّيتها، وقد نُرجع ذلك إلى الربط الاستعاريالممكن الذي يجمع اللحظة بأفعال نتصورها داخليا وكأنها فواصل زمنية محددة. إذ لا يمكن أن نتصور أن الموت مثلا ورد حدوثه مرات ومرات، بل إن القصد بالموت هو الموت الاســتعاري كما تكشــف عن ذلك البنى التالية: «استغرق موته ساعتين»، أو « نموت جوعا كلّ يوم».

إن ما يجعل من هذه البنى بنى اســتعارية هي أن حدث الموت يؤول على أننا نمرّ بســيرورة نُســلَّم فيها إلى الموت كل يوم، وبهذا قد نقرأ البنية على أســاس إحالتها على سيرورة أوصلتنا إلى لحظة الموت، وهي ســيرورة مكنتنا من بناء نسق اســتعاري تصوري ربط الموت بلحظة واحــدة فاصلــة وخارجة تماما عن محيطهــا، وكأننا نتصور اللحظة بنيــة مغلقة لا علاقة لها بالظروف الخارجية، فالتأويل الاســتعاريMetaphoricinterpretation ››ســاعتين›› و››كلّ يــوم›› مثلا، يجعل منها نســقا محــدودا ومنفصلا يربط بين كل النقــط الممكنة داخل مجال مدتهســاعتان، وداخــل حيّز مدته 24 ســاعة، وعليه فــإن كل النقط التي توجــد داخل هذين المجالين تجمع استعاريا داخل نقطة واحدة تقرأ باللحظة.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

المؤكـد أن الإنسـان يملك نسـقا داخليا يجعله يـؤول منظومته التي تحيـل على اللحظة بمفاهيم وتصورات تنسجم مع مقتضياتها، بمعنى آخر إنه ينتقي في تعبيره عن ذلك قوالب لغوية لا تؤشـر على المدة، ولا تؤشـر كذلك على السـرعة والبطء، كما لا تؤشـر على الضغط وإطالـة المدة. لذلك يتـم وصف اللحظة الزمنية باعتبارها نقطـة وصول الحدث، ممّا يجعل البنيات التالية بنيات شـاذة دلاليا لأن مجال المدة مفتوح على الطول والقصر، على السـرعة والبطء، على الضغط والشد العصبي، في حين تعدّ اللحظة مجالا مغلقا ونقطة تحقق الحدث ووصوله:

أ.لم أشعر بالمهلة المحددة للانسحاب.

ب.وصلت المهلة المحددة للانسحاب بسرعة.

ج.انتهت المهلة المحددة للانسحاب ببطء.

تسمح لنا هذه المقارنة من إدراك الكيفية التي يشتغل بها النظام التصوري عند الإنسان، ومـن ثمة رصـد المبادئ العامة التي تتحكـم في إدراكنا للعالم الخارجي، وفي إسـقاطاتنا له لغويا، لذلك فمن المفترض أن يسـلك نسقنا التصوري سيرورات لإدراك العالم بواسطة اللغة. مهما يكن فأيّ نسـق اسـتعاري ما هو إلا تمثيل تصوري للأشياء والموضوعات الأنطولوجية التي تفتح آفاقا واسـعة للحرية والتعبير، بل يمكن أن يكون الوسـيط الوحيد الذي يسـاهم في تنمية اللغة وتوليدها، كما يمكن أن يكون معيارا حاسـما في بناء معجم لغوي يراعي في مداخله كل الأنساق الاستعارية المحتملة في بنائه.

2-1-2 استعارية الورودات الزمنية.

تتأسـس قراءة الـورودات على مبدأ التعـداد(Enumeration Principle) الذي ينسـجم مع الحـدث أو النشـاط أو حالـة، لذلك فإنه يرتبط بالعمليات السـياقية التـي ينتجها الخطاب، بالإضافـة أنه ينبني وفـق مقتضيات ظرفية امتدادية لا تقف عند حـدود الحدث الأول، بل يتجـاوز الأمـر ذلك إلى الـورودات التي تأتي بعده، ممّا يفسّـر أن التعـداد يدخل ضمن البنية التصورية للإنسان الشيء الذي توضحه البنيات التالية:

أ.حطّم هشام الكروج الرقم القياسي العالمي لمسافة 1500م في ملتقى باريس لألعاب القوى.

ب.سافر زيد من الرباط إلى أكادير عبر الطريق السّيّار.

إذا كان «جاكنـدوف» (1983) في مؤلفه « الدلالة والمعرفة» قد أدخل الحدث بكل تلاوينه ضمن المقولات التصورية الأولية (حالة، مسار، نشاط...) فإننا سنهتم هنا بأهم المكونات التي تسـاعدنا في الانتقال من النسـق التصوري إلى البناء الاستعاري عبر مبدأ التعداد، فالملاحظة الأولى في المثال (أ) تجعلنا ندرك أن تحطيم الكروج للرقم القياسـي لمسـافة 1500 م لم يأت دفعـة واحـدة، أو أنه لم يأتنتيجة مشـاركة وحيـدة في ملتقى باريس، بـل إن تحطيم الرقم جاء بناء على مشـاركات سابقةللمسـافة نفسـها، وبناء أيضا على عدد المرات التي حسّـن من خلالها الكروج أرقامه الشخصية في هذه المسافة، فيتأسس التعداد هنا على حسب المشاركات

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

وحسب الأرقام التي حصل عليها العداء قبل أن يحطم الرقم القياسي، الشيء نفسه يمكن أن ينطبق على البنية (ب) التي نفسّـر من خلالها أن السـفر الذي قام به زيد اتخذ مسافة رابطة بين الرباط وأكادير، إلا أن هذه المسافة تقرأ في كلّيتها على أنها كمية واحدة، بل إن الأمر في الأصل يوزع إلى تعداد نعُدُّ من خلاله الكيلومترات التي تربط بين المدينتين، لذلك فإن المسار الفضائي (من الرباط إلى أكادير) هو مسـار نعبّر عنه ب: مسـار واحد هو الطريق، وكيان واحد هو زيد. فكلّ نقطة من هذا المسار تشكل نقطة وصول تبتدئ بالرباط وتنتهي بأكادير، هي النقط التي تشكل ورودات مبنية أيضا على تعداد حجم المسافة وحجم الكيلومترات الرابطة بين المدينتين، وكأن النسق الزمني في المثالين مبني على نسق مرتب بشكل خطي تسلسلي.

1.الحدث: المسافةالتوقيت

المشاركة الأولى 1500م mn30s143

المشاركة الثانية 1500م mn29s763

المشاركة الثالثة 1500م mn28s613

2.المسار:

(الرباط).....1....2....3....4.....(أكادير)

(نقطة انطلاق).....(نقطة وصول)

المدة: 3 ساعات

نجد أنفسـنا هنا مجبرين للدفاع عن الافتراض الذي يؤكد أن المدة الزمنية هي مجموعة من النقط المرتبة بشكل خطي تخضع إلى مبدأ التعداد النسقي، فيكون الزمن امتدادا إذا امتد في الزمـن، ويكـون لحظيا إذا لم يجد في الزمـن امتدادا له، إلا أن الأمر الذي سـنركز عليه هنا هي الملاحظة التي أشـار إليها كل من « ميلر وجونسـون لايرد(1976)Miller&Johnson- Laird(في مؤلفهمـا: «Language and perception» بتأكيدهمـا أنـه على الرغـم أن الزمن ينبني على التعـداد الخطي، فإنه من الناحية النفسـية من الملائم اعتبـار الزمن هنا متوالية من الأحداث أو اللحظات أو النشـاطات، الشيء الذي يفسّر أننا نمتلك قدرة استعارية قوية نؤول من خلالها الحدث أو المسـار أو النشـاط... كأنه كمّية واحدة من الحدث، بمعنى أننا نشـكل مجموعة من المعطيات الزمنية المؤسسة على خبراتنا وتجاربنا معه، فنقدمها للعقل على أنها أساس صحيح فيصدقها ويقوم بترجمتها إلى تصورات بشكل خاطئ، فيعطينا أمرا بأن نتصورها كذلك، فنلجأ إلى الاسـتعارة باعتبارها الوسـيط المعرفي الوحيد الذي يسهل علينا عملية الإدراك ويوصلنا إلى الإفهام، بل إن الاستعارة هنا تشكل الأساس الذي يجعلنا ندرك أن إنجازا من حجم تحطيم الرقم يشـبه إلى حد بعيدتحطيم قنبلة التي لم تأت دفعة واحدة، بل عبر تطبيق العديد من التجارب والمناورات،فتكـون التجارب إسـقاطا اسـتعاريا للمشـاركات، وتكون القنبلة إسـقاطا تصوريا للرقم القياسـي، فتتأسس على منوال ذلك اسـتعارة الورودات، ويجعلنا أيضا نفهم أن السفر هو مجموعة من النقط المتوالية التي تربط بين نقطة الانطلاق ونقطة الوصول.

إذا كانت كلّ الأعمال تقول بافتراضات حتى لو أدى ذلك إلى تناقضها، فإن ذلك ممكن لأن

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

كل التحاليل التي تقدم هي في الأصل استعارات، إنها تقول شيئا آخر غير ما هو عليه الأمر في الواقع، إن السياق الزمني المبني على الورودات والتعداد هو سياق حذر يأوي مجموعة من التصورات المثبتة في الذهن، فبمجرد ترجمتها فإنها تفرض علينا النظر إلى السياقات بطريقة جديدة، ومن أجل فهمها علينا أن نتساءل «كيف» و«لماذا» نعمل على صياغتها بهذه الطريقة الجديدة، وكأننا نتصور أن الاستعارة هي الانطلاق من بنية عميقة ذات قوة تأويلية صعبة إلى بنية سطحية ذات مغزى إفهامي بسيط.

2-1-3 استعارة الأحداث الزمنية.

تقرّ اللسانيات البيولوجية أن اللغة تشكل مكونا من مكونات الذهن، ونفهم الذهن هنا بالمعنى الذي يختص باستعمال واكتساب اللغة، فأفضل النظريات التفسيرية الموجودة تنظر إلى النسق البيولوجي على أنه يملك انساقا حاسوبية تمكن من منسقة تفكيرنا وفق ممارسات اجتماعية معقدة مرتبطة بالخيال وبالأنساق الاستعارية والرّمزية بشكل عام، الشيء الذي يساعدنا على تأويل الظواهر اللغوية وفق ما نملكه من ملكات تفسيرية وتأويلية كبيرتين، لذلك فإن أيّ تصور زمني لابد وأن يكون ذا قيمة رمزية تؤشر إلى الحدث مثلا باعتباره يحيل على الاختصاص، والاختصاص هنا هو النظر إلى الحدث باعتباره نقطة زمنية مرجعية في إطار التسلسل الخطي للزمن، بمعنى آخر فهو عبارة عن نقطة إحالية محددة نؤشر عليها بالسياقات اللغوية التالية:

أ.كتب الرسالة في ساعة.

ب.قطعت ميلا في ساعة.

ج.توّج الكروج بسباق 500 ام.

إذا كانت معايير التحليل الدلالي والتصوري تفترض تحديد التمايز بين اللحظة والمدة الزمنيتين على الرغم من كون الأول قد يكون جزءا من الثاني، فإن الحدث الزمني يؤول على أنه كميةQuantity زمنية خاصة ومحددة، الشيء الذي يمكن أن نفسره من خلال(أ). الذي نصوغ من خلاله مؤشراتتحليلةعلى فعل الكتابة داخل حيّز زمني لن يتجاوز ساعة من الزمن، بمعنى أدق فإن الحدث هنا مؤشر عليه بالنظر أن كتابة الرسالة في ساعة يقتضي أني لم أكن قد كتبها في أول عشرين دقيقةمن هذه الساعة مثلا، الشيء نفسه ينطبق على المثال في (ب) الذي يؤول استعاريا بالنظر أنه إذا كنت قد قطعت من المسافة ميلا في ساعة، فإنه لا يمكن أن يكون صادقا أني قد قطعت الميل في أي نقطة من نقطه الزمنية، رغم أني قد انخرطت في قطع الميل خلال كل الفواصل الفرعية التي تتكون منها دقائق الساعة السّتون، أما في (ج) فهي لا تعبر عن الفوز الفعلي بالسباق، بل يتم استبدال ذلك باستعارة تؤول الحدث باعتباره تتويجا للحظة الفوز بالسباق الذي تقع مسافته بين زمنيين، زمن الانطلاق وزمن الوصول.

إن المؤشرات التصورية التي تفرزها هذه السياقات تعطينا تنبؤات معرفية كثيرة تحيل

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

كلّها على أن الحدث قد يؤول استعاريا إلى قراءة منفردة تنظر إليه كأنه نشاط أو إنجاز أو حالة أو إتمام، بل هو كذلك إذا كانت القوة الاستعارية التي تنظر إلى الحدث في عموميته نسقا زمنيا محيلا على الكتابة أو الجري أو الربح.. في حين أن ذلك يخضع لحوسبة ذهنية تجعل المخاطب يدرك ضمنيا أن حدث الكتابة قد استغرق ساعة من الزمن دون أن يعمل على تجزئته إلى فترات أو فواصل جزئية، بل ما يهمه (المخاطب) هنا هو فعل الكتابة في كلّيته. الأمر نفسه ينطبق على حدث الجري الذي من خلاله تم قطع ميل من المسافة في ساعة، فنحن نؤول فعل الجري هنا استعاريا باعتباره كمّاً، في حين أنه في الأصل مجزأ إلى نقط وفواصل... وهكذا.

إن التصميم الاستعاري الذي يملكه الجهاز المعرفي عند الإنسان يسهل بشكل كبير عملية إدراك الخطاب وتأويله، بل إن الاستعارة في هذا المستوى من التحليل قد تشكل وسيطا معرفيا خارقا ينقل الخطاب من بعده الحرفي بإسقاط مضامين جديدة عليه، فتأويل السياقات أعلاه يجعلنا نتصور كأن الحدث عبارة عن نقطة وصول نهائية أو نتصوره كأنه نقطة إحالية كبرى في ضمنالتعداد الخطي للزمن، الشيء الذي يجعلنا نقول في مقابل الأمثلة السابقة مثلا:

أ.كتب الرسالة في سنة 2008.

ب.سبق وأن قطعت المسافة في ساعة.

ج.توّج بالسباق في ملتقى باريس في السنة الماضية.

قد تجعلنا هذه المعطيات متفقين على أن النهج الاستعاري الذي يسلكه الإنسان في عملية الإدراك له جدوى دون الوقوف عند معالجة المعلومات اللغوية الدقيقة المقدمة، لأنه، وبكل بساطة، تمكننا الاستعارة من رؤية بعض مظاهر الواقع (التصور) بصورة تتولد عن الاستعارة نفسها، فتكون بذلك المظاهر التصورية مظهرا استعارية في حدّ ذاتها، منها تتولد وإليها تعود.

2-2 التصور الاستعاري للتسلسل الزمني.

إذا كانت المقاربات المتنوعة للزمن تبحث عن معالجته باعتباره ظاهرة ذهنية أو باعتباره جزءا من «الواقع»، فإن المقاربة الأكثر تطرفا هي تلك التي قدمها «ايفايس(2004)» التي اعتبرت أن النسق الزمني عند الإنسان هو نسق بيولوجي نفسي، وأن فكرة وجود تصورات استعارية خلف ذلك لا معنى له إذا لم نفسّر الواقع من زاوية الوقائع اللغوية الأكثر بساطة بطريقة محسوبة، الأمر الذي دفعه إلى استخلاص أن النسق الزمني عند الإنسان ُبنيّ تصوريا وفق نقطتي التقاء، التقاء الذات بالحدث لتؤسس الإحالة المبنية على تحرك الذات، أو نقطة التقاء الزمن بالذات لتؤسس الإحالة المبنية على تحرك الزمن، إلا أن هذا الالتقاء لا يمكن أن يتم إلا من زاوية وجود سيرورة زمنية تفترض في الزمن أن يكون ذا بعد خطي تسلسلي الشيء الذي كان سببا في الدفع بنموذج معرفي ثالث أسميناه ب «نموذج التسلسل الزمني».

تنبثق معطيات هذا النموذج من فرز مختلف الأنساق المعرفية التي حاولت أن تنقل التفكير في الزمن من حجرة الدماغ إلى السياق عبر وسيط اللغة، فالكيفية التي نتصور بها الزمن هي التي تجعلنا نتفاعل مع الآخرين في بلورة إرسالية مقصودة ومؤولة وفق ما يقدمه

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

النسـق الاستعاري عند الإنسـان، وإذا كان الافتراض القائل بوجود تسلسل خطي للزمن، فإن القبض عليه يفرض أيضا التسـلح بكل الملكات التي تسـاعدنا على قراءته قراءة سُلّمية بناء على مجموعة من المؤشرات الاستعارية المحلية نحو:

أ.يتدفق الوقت بسرعة.

ب.ينساب الوقت بمرونة نحو المجهول.

ج.لا يمكن أن نوقف الوقت.

مـن البديهـي أن تـؤول هذه السـياقاتعلى وجود خلفيـة مرجعية لوقوع الأحداث المؤشـر عليهـا بالتدفق والانسـياب وعدم التوقف، هي الخلفية التي نؤكـد من خلالها أن الزمن عبارة عـن سلسـلة لا متناهية من التدفقات، تنسـاب بنا بـلا هوادة أو توقف، فانسـجام التدفق/ الانسياب/ عدم التوقف... مع المقتضيات السياقية للزمن يدفعنا إلى بلورة تصور يربط بينها بواسـطة الاستعارة، فالسمات التحتية للتدفق والانسياب وعدم التوقف يجب أن تنسجم مع مكونـات من قبيل: الماء، الهواء، الفضاء... كلّها مكونات محكومة بفعل السـيرورة، الشـيء الـذي يجعـل من خلفياتنا التصورية قابلة أن تُربط مع مكون رئيسـي مـن قبيل الزمن الذي يخضع هو الآخر لنفس الفعل (السـيرورة)، ومن تم كان الانسـجام التسلسـلي الذي يجعل من السياقات السابقة جملا مقبولة نحويا ودلاليا بناء على الاستعارة.

تقول العادة أننا نتصور الزمن في شـكل وحدات متسلسلة من الأيام والأحداث والكيانات... هـو التسلسـل الذي يُفترض أن نقابله اسـتعاريا بالحيّـز المكاني الذي يؤطره، الشـيء الذي ينعكـس على طرق تفكيرنا. إذ غالبا ما يتم التأشـير على ذلك بواسـطة محـدد مرجعي نحيل مـن خلالـه على الزمـن كأن تقول مثلا: «أحتفل بعيـدي ميلادي كلّ سـنة». « أزور باريس كل شهرين».«أتزوج مرّة في العمر».

ما يجمع بين كل هذه السياقات هو قابليتها أن تجعل من الذات إحالة مرجعية زمنيا، إلا أن التأمـل أكثر في محتوياتها القضوية تفرز دلالة عميقة تتمظهر في أن الاحتفال بعيد الميلاد وزيـارة باريـس والتزوّج كلّها مؤشـرات تحيل في حـدّ ذاتها على حدث مرجعـي مرتبط بوجود ذات،إلا أن النهج الاسـتعاري يعبّر في الأصل عن سـيرورة زمنية وعن تسلسل زمني يجعل من الـذات قارئة جيّدة لحدث الماضي والحاضر والمسـتقبل، وبالتـالي فإننا نفكر في الزمن وكأنه مترابطـة لا متناهيـة من الأحداث تتدفق بنا من الماضي نحو المسـتقبل، بل إننا قد نتصور أننـا عندمـا نعبّر عن الزمن وكأننا نعبّر عن الذات في إحالاتها المختلفة، بل إن العكس هنا هو الصحيح إذ نعبّر عن الذات ونحن نحيل عن تسلسل زمني مفترض.

إن الزمن الذي تم تصوره هنا هو زمن الأحداث وليس مجرد زمن فقط،لأن مثل هذا التصور لا يمكـن أن يطـرح بوصفه تحصيل حاصل لأنـه زمن حدث ما محدد، محصـور ومقيّد بالزمن والمكان، الشـيء الذي نرفض من خلاله أيّ تقسـيم للخط الزمني إلى مراحل بقدر ما ندعم أن يتم ذلك بناء على الأحداث المؤرخة في الذاكرة.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

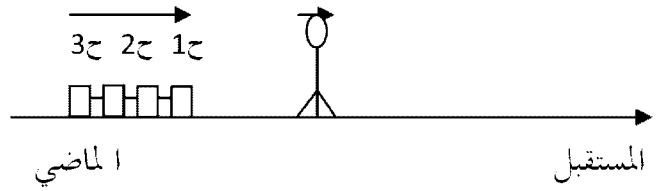

شكل1: طبيعة الأحداث المؤرخة في الذاكرة

شكل1: طبيعة الأحداث المؤرخة في الذاكرة

مـا يجعل من منظومتنا التصورية بنية اسـتعارية محضة هـي الأولويات التي نملكها في دواخلنـا، والتي تسـوقنا نحو إدراك منطقي يجعل من الأحـداث التي تقع خلف الذات بمثابة أحداث التجربة الذاتية، بل قد نستعير هذه التجارب في رسم الخط الزمني الخاص بنا، فتكون القـراءة المثلى لهذا التسلسـل ذات وجهتين محددتين تنطلق الأولى مـن (ح1) إلى (ح3)،أو مـن(ح3) إلى (ح1) وكلا التصوريـن صحيح، بحسـب التراتبية الخطيـة التي تعطي الأولوية للحدث الأقرب أو الأبعد إلى الذات من حيث الوقوع. بالتالي تكون هذه الأحداث بمثابة أوليات تجريبية تساعدنا على تأريخ مسارنا الزمني والقبض على بعض من جزئياته.

2-2-1 التصور الاستعاري للمصفوفة.

إذا كنا ننظر إلى النسـق التسلسـلي بوصفـه مجموعة من الأحداث التـي يتم قراءتها على أساس أنها إطارات مرجعية خطية، فإن المصفوفة تنظر إلى هذا الخط التسلسلي بوصفه زمنا مطلقا لا بداية ولا نهاية له. بمعنى أن تصورنا الاستعاري للمصفوفة يدفعنا إلى تجريد الزمن من كل الأحداث التي تقع على خطه والنظر إليه بوصفه كيانا عاما قابلا للقياس والتمييز.

المصفوفـة (matrix) بهـذا المعنـى كيان ثابت وموحـد يملك كل مؤشـرات القياس وكل مؤشرات التغيير، ولإدراك ذلك ننظر في السياقات التالية:

أ.لا يمكن لنا أن نحد من تدفق الزمن.

ب.لا نهاية للزمن.

تعد الغاية المشتركة بين كلّ هذه السياقات إحدى أهم المؤشرات التي تساهم في تشكيل تصـور فعّال حول الزمن، فارتباطها بالحركة يعد مسـألة جوهرية في بناء وتشـكيل التصور، وهو التصور الذي يتماثل بشـكل كبير مع ما قدمه «نيوتن» حول مسـألة «الزمن المطلق» وهو تدفق لا علاقة له بالمؤثرات أو المؤشـرات التي يمنحها العالم الخارجي، إذن فنحن أمام حركـة إنسـيابية تقودنا نحـو اللانهاية، فعدم وضع حـد لتدفق الزمن في المثـال الأول يعدّ مسـألة تجريبية أكثر منها تجربة فيزيائية، فنحن ندرك ونتصور ذلك قبل أن نعرف ونتعرّف

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

على النظريات الفيزيائية حول المسألة. لذلك فإننا نستند على كل الأفعال المتخيلة استعاريا للتعبير عن الزمن من هذه الزاوية أو الوجهة، الشيء الذي ينسجم بشكل كبير مع ما هو مقدم في المثـال الثانـي، إذ غالبا ما نتصور الزمن بوصفه كيانا ممتـدا لا يمكن أن نحدّ من قدراته على اختراقنا واختراق أجوائنا الخاصة، بل اختراق دواخلنا التي تعدّ خواصنا التي لا يمكن لأحد أن يفعل بها ذلك. بخلاف البنية: «مازال الوقت أمامك طويلا». إذ نصادف أننا أمام تصور آخر مختلـف له علاقة «بالمدة المطلقة» وهي تقارب بشـكل كبير مسـألة «الزمن المطلق»، إلا أن فرصة تدارك الأمر مثلا، تفتح مجالا أوسـع لاعتبار أن التأويل أو القراءة المثالية لـ «وقت طويل» قد تنسجم مع «المدة المطلقة» المفتوحة على مجال زمني غير محدود.

إن ما يجعل المصفوفة الزمنية متمايزة عن التسلسل الزمني هي تلك الاعتبارات الاستعارية الداخليـة المبنية على مسـألة التجربة، فإذا كان التسلسـل الزمني يعطـي أولوية كبيرة إلى «الحـدث» باعتباره إطارا مرجعيا أو قوة إحالية كبرى، فإن المصفوفة، في مقابل ذلك، تمنح قوة اسـتعارية كبيرة إلى «الحركة» باعتبارها مؤشـرا قويا على اللانهاية وعدم المحدودية في الزمن، وهو الأمر الذي تبيّنه السياقات التالية:

أ.لا نسبح في الزمن مرتين.

ب.يزحف الوقت بنا نحو المجهول.

ج.يصحبنا الوقت معه إلى اللانهاية.

د.يسرع الوقت بنا نحو الهاوية.

إن القوة الاستعارية التي نمنحها للزمن من خلال توظيف أفعال من قبيل: يزحف، يصحب، يسـرع... تجعلنا ندرك أن النسـق الداخلي لهذه الأفعال يبنى على الامتداد، هو الامتداد الذي لا يمكن أن يأتينا من التركيب ولا من الصرف، بل إن العنصر القوي في بنائه ينسجم مع الدلالة التوافقية ا التي تربط بين السياق التركيبي والسياق الدلالي.

تشـترك كل الأفعال الموظفة في الأمثلة أعلاه على وجـود حركة امتداد غير محدودة بزمن أو حدث أو لحظة معينة، لذلك فعندما نريد أن نعبّر عن المصفوفة، فإنّنا نعبّر عنها استعاريا بوجـود فعـل الحركة الـذي لا تتم مناظرته في البنية السـطحية للأفعـال، بمعنى أن هناك مجموعة من العناصر التصورية غير مكشـوفة في التركيب، لكنها تأخذ مكانا لها بشكل قوي في التمثيـل الاسـتعاري للكلمة، فالكلمة وجه مكشـوف داخل التركيـب تحمل مجموعة من الـذرّات الدلاليـة المنصهرة داخلـه، وعليه، فإن الكلمة في مسـتوى من مسـتويات التحليل عبارة عن بنيـات يتم دمجها معجميا(lexical insertion)عبر آلية الإصهار([2])fusion، فالبنية الدلالية التي يكشـف عنها الوجه الأول أو الصادم للكلمة أغنى وأعمق بكثير من المسـتوى البسيط الذي تظهره، فهي وجه خدّاع يجعل الكثير من السمات الداخلية التي لا يتم الكشف عنها إلا عندما نسـتعين بآليات كاشـفة وخارقة مثل الاسـتعارة. بهذا المعنى، تعدّ الاستعارة قوّة كشـف للبنى/السـمات الداخلية التي نسـتحضرها بوعي أو بدون وعي لكنّنا ندركها من خـلال النسـق التجريبي الذي نملكه جميعا، وإذا لم يكـن الأمر ذا بعد صائب لكانت كل البنى

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الموظفة أعلاه مثلا بنى لاحنة A-grammatical sentence؛ أي أن فعل الزّحف أو الاصطحاب لا يمكن أن ينسجم مع كيان مجرد مثل الزمن. فلولا الاستعارة ولولا التجربة مع المحيط زمنيا، لما أمكننا أن نولّد من أنساقنا اللغوية سياقات مماثلة لما هو مقدم أعلاه.

إن الانطلاق من المصفوفة لبناء النسق الاستعاري للزمن مسلك مبني على أساس الحركة الممتدة، صحيح أن الأنساق التركيبية والدلالية تبني بنيات زمنية مختلفة في اللغات الطبيعية، لكن استنباط المحدودية والحركة التي تنتظم في إطار هذه الأنساق تحتاج إلى مستوى معرفي يمكننا من دراسة مدى الانسجام أو التوافق الذي يجعل من تخصيص السمات لأفعال الحركة ينسجم مع المصفوفة، ولا يمكن أن يتأتى ذلك إلا من خلال استحضار الاستعارة باعتبارها سلوكا داخليا من شأنه أن يساعدنا على كشف ذلك التوافق المنشود بين التركيب والدلالة. من جهة، وبين الدلالة والاستعارة من جهة أخرى.

2.2.2 استعارة الزمن/ منفذ.

لنتأمل السياقات التالية:

أ.يتدفق/ ينساب بنا الوقت.

ب.يزحف الوقت بنا نحو اللانهاية.

إن ما يؤشر على أن هذه السياقات متمايزة يتمظهر في تلك الخلاصة التي استنتجناها سالفا والتي أكدنا من خلالها أن (أ) تؤشر على التسلسل الزمني وبالتالي ارتكاز تأويلها الاستعاري على الحدث، في حين أن (ب) تؤشر قراءتها على الحركة، إلا أن الهدف من إيراد هذه البنى هو اتفاقها جميعا على وجود كيان نؤشر من خلاله على الحدث من جهة، وعلى الحركة، من جهة أخرى (حركة التدفق/ حركة الانسياب/ حركة الزحف). هو الكيان الذي يتم التعبير عنه بالمنفذ، منفذ للحركة ومنفذ للحدث، إلا أن المنفذ في حقيقة الأمر لا يمكن أن ينسجم مع الذات بقدر ما ينسجم مع الزمن في حدّ ذاته، وهو الأمر الذي نكشفه من خلال السياقات التالية:

أ.زمن منتقم جبّار.

ب.الزمن طبيب جرّاح.

ج.الزمن وحش كاسر.

ينتمي المنفذ إلى حقل واسع من المعطيات، حقل يضم العديد من السمات الزمنية المحايثة للمحمولات المعجمية المجرّدة من السمات الزمنية الداخلية، ومجرّدة أيضا من التفاعل الموجود بين الهندسة الزمنية الداخلية للمحمولات مع السمات الحالية للمركبات. فدلالة المحمولات المؤشر عليها أعلاه مثلا ترتبط بشكل كبير بالهندسة التي نمنحها للحقول الدلالية وبالآليات التفكيكية للبنيات المعجمية للأفعال. فالمنفذ بهذا المعنى، له مجموعة من الإسقاطات الاستعارية التي يمكن مبدئيا توزيعها على جهتي الحدث والحركة[3].

إذا كان للحدث قوة إحالية كبرى في استقراء التسلسل الزمني، فإن الحركة قوة امتدادية

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

نؤشر من خلالها على المصفوفة، إلا أن القاسم المشترك بين الجهتين هو حاجياتهما التأويلية إلى منفذ (ذات/ كيان) يملك سلطة كبيرة في تنفيذ ما يقدمه السياق. فإذا تأملنا التركيب في (أ) سندرك أن من سينفذ فعل الانتقام هو الزمن، وفي (ب) أن من سينفذ فعل التطبيب هو الزمن، وأن الوحش الكاسر هو الزمن في (ح) فيتم، من خلال كل هذا، بناء العديد من التصورات الاستعارية التي نتصور من خلالها الزمن مثل الطبيب أو الوحش أو المنتقم، إلا أن تنفيذ ذلك لا ينحصر في مدة معينة، كما لا ينحصر في لحظة أو فترة محددتين، بل إن ما سيُنفَّذ مفتوح على المطلق من جهة، ومفتوح على القيام بالحدث من جهة أخرى، بمعنى له قابلية التأويل على الحركة والحدث، فيكون المنفذ، بهذا المعنى، الوسيط الذي يربط بين الحركة والحدث استعاريا، فمن أين لنا بكلّ هذه القوالب التأويلية؟

إذا كان الإنسان يملك الكثير من المؤشرات الزمنية التي استقاها من التجربة، فإنه يملك أيضا العديد من الوسائط التي تسمح له بتوليد العديد من السياقات المقبولة، هي السياقات التي تسمح للأنساق اللغوية بأن تؤول بناء على الربط المنطقي الذي يجعل من الزمن كيانا يؤثر فينا، بل له قابلية أن يصنع فينا ما يشاء، إلا أن إلصاق هذه السمات بالزمن لا يمكن أن يكون وليد الصدفة، كما لا يمكن أن يكون أمرا اعتباطيا، بل هناك تصورات أولية كامنة فينا، من خلال التجربة، تسمح لنا بأن نضع الزمن في صورة الطبيب والمنتقم والوحش، فلولا إدراكنا أن الزمن يملك سيرورة تحولات دلالية مقيّدة، لما أمكننا أن نستعير من الطبيب والمنتقم والوحش سمات التطبيب والانتقام والوحشية لكي تتطابق استعاريا مع الزمن، لأن الهندسة الداخلية للاستعارة لا يمكن إلا أن تتطابق مع تصور المنفذ داخل مجال داخلي محصور ومقيد بسمات خاصة، وينبني القصد هنا على أن السمة الموجودة في البنية الزمنية لصورة المنفذ مالكة للتخصيص الاستعاري المحدد اعتبارا أن السياق يقتضي تفعيلا لكلّ السمات وجعلها تبدو مناسبة لرسم تأويل استعاري ملائم، إلا أن هذا التأويل لا يمكن إطلاقا أن يكون نتاجا لأزمنة نحوية. وإنما يشتق المنفذ بآليات تركيبية تؤلف بين المحتوى الزمني الموجه بدلالة معجمية والمحتوى القضوي الذي نرمي من خلاله إلى قصدية المنفذ. فيتحول الزمن، بهذا المعنى، من بنية مجرّدة إلى قوة فاعلة تنفذ وتؤثر في كل شيء، بل إن الزمن يتحول إلى طبيب إذا تعلق الأمر بالجراح، وإلى منتقم إذا تعلق الأمر برد التأثر، وإلى وحش إذا تعلق الأمر برد الافتراس. كلّها مهام تحتاج إلى خبرة في تأدية الواجب وإلى مستوى عال من الاحترافية والتجربة والخبرة في تنفيذ المطلوب.

3-2-2 استعارة الزمن/ بضاعة.

تشتغل معظم المقاربات المتنوعة للزمن عن معالجته باعتباره شيئا مجردا، وربما أن المقاربة الأكثر انحرافا هي النظرية التي تحدث عنها «لايكوف وجونسون» (1980) في عملهما «الاستعارات التي نحيا بها» واللذان تحدثا عن إمكان ربط الزمن بالعديد من التصورات من قبيل:[الزمن/ مال]، [الزمن / سفر]... وهي التصورات التي تعكس الطبيعة الاستعارية لتصوراتنا في علاقتها بسلوكاتنا اليومية، وقد بيّنا أن هذا الأمر قد تجسد في مجموعة من

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

مجالات الحياة، في التسعيرات التليفونية، أجور الساعات، وتسديد الدّيون، وهي ممارسات جديدة نسبيا في تاريخ الجنس البشري،[4] هي اعتبارات نفهم الزمن من خلالها ونعيشه باعتباره شيئا يصرف ويقاس ويستثمر بصورة جيدة، إلا أن هذا الاستثمار أو التصرّف يشكل دافعا مهمّا لكي نعتبر الزمن بضاعة ذات قيمة، فهو مورد محدود من حيث الكمّية، نستغله لتحقيق مآرب لنا، وهو الأمر الذي تبينه التراكيب التالية:

أ.استغل كلّ دقيقة من عمرك.

ب.وفّر وقتا لعائلتك.

ج.أضعت وقتا طويلا في اللعب.

د.ليس لدي وقت كافي لأمنحك إياه.

فإذا كنا نتصور الزمن بهذه الطريقة، ونعبّر عنه بصورة تجعل منه بضاعة أو موردا أو مالا، فإننا نستطيع دائما أن نجعل من الزمن سهما يتداول في بورصة الحياة، له قابلية الربح والخسارة، بل له قابلية البيع والشراء، وكأن الزمن بهذا المعنى، سلعة تتحدد أهميتها بناء على قيمتها.

عندما نتأمل كل السياقات الواردة أعلاه نستشعر بعدا تصوريا عميقا يربط الزمن بالبضاعة أو السلعة، بل يربطها بكل الموارد القابلة للتداول مما يعطي الانطباع أننا أمام تصورات استعارية غالبا ما تستخدم في حياتنا اليومية باعتبارها تكرس لتجربتنا مع المال، والوسيلة المثلى التي تجعل من تصورات الإنسان تصورات ثقافية تستلزم شرطا ضروريا وكافيا مفاده أن كل تصور زمني ينظر إليه باعتباره موردا، فإنه يستلزم، بالضرورة، أن الزمن بضاعة ثمينة.

إن التصور الذي جعلنا ننتج عبارة من قبيل (استغل كلّ دقيقة من عمرك) هو التصور نفسه الذي جعلنا نتصور الزمن باعتباره شيئا قابلا للاستغلال، بل إنه التصور الذي جعلنا ننظر إلى الزمن باعتباره تجارة قابلة للاستثمار يجب علينا استغلاله بكيفية جيدة حتى نتمكن من الاستفادة منه أكثر. فالدقيقة من هذا المسار الزمني الطويل لها قيمة كبرى إن لم يتم استثمارها واستغلالها بطريقة مثلى.

توفير الزمن في (وفّر وقتا لعائلتك) يجعل منّا نتصوره باعتباره مالا ذا قيمة كبرى يجب ادّخاره للوقت المناسب، إن هذا الادّخار هو تصور استعاري مكننا من النظر إلى الوقت وكأنه حزمة مالية يجب توفيرها حتى يتسنى لنا استغلالها في وقت الشدة، وهو أمر معكوس بالنظر إلى السياق المقدم في (أضعت وقتا طويلا في اللعب) الذي ينصحنا بعدم ضياع الوقت في اللهو، بل إنه يقدم لنا تصورا سلبيا إن نحن لم نتمكن من استغلال الوقت فيما يعود علينا بالنفع دون التمادي في ضياعه.

إذن، فالمسؤولية والإحساس بقيمة الوقت دافعان أساسيان يقودان الإنسان إلى ضرورة عدم ضياعه فيما لا يعود بالنفع عليه، وعوض أن نضيّع الوقت يجب أن نمتلكه ونتحكم فيه وفي استغلاله، وهو الأمر الذي ينسجم مع السياق المقدم في: (ليس لدي وقت كاف لأمنحك إياه) الذي يسلط الضوء على تصور مثالي للزمن، خصوصا ذلك التصور الذي يعتبره

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

شـيئا مملـوكا لنا، قد نمنح منه ما نريد ونترك منه مـا لا نريد، بل إنه عبارة عن خزينة مالية نتصـرّف فيها على قدر مسـتطاعنا، ولا يمكـن أن نعطي للآخرين منه إلا عنـد الضرورة، هذا التصور المثالي هو تصور استعاري يقابل بين الزمن من حيث بنيته التجريبية، وبين الملكية باعتبارها شيئا منسوبا لنا.

إن النسقية التي تسمح لنا بالقبض على مظهر من مظاهر تصور ما حول الزمن، هي نفسها التـي تجعلنا نلائـم بين الزمن والبضاعة، فإذا كان الزمن ثروة هائلة من الدقائق والسـاعات والشـهور والسـنوات، فإنه يجب علينا أن نعمل على اسـتغلالها واسـتثمارها وادخارها وعدم الاسـتهانة بها، وألا سـنضيع منها الشـيء الكثير لمحدوديتها ومحدودية كميّتها بالنظر إلى الفتـرة التي سنعايشـها فيهـا، لذلك يتم مقابلة (الدقائق، السـاعات، الشـهور...) بأفعال من قبيل (استثمر، ادّخر، وفّر...) ممّا يعطينا تشكيلات استعارية منفردة تنبني من تجربتنا معه واحتكاكنـا بمجرياته التسلسـلية/ الخطية حتـى نصل إلى درجة تصورنـا وكأنّنا نمتلك تلك الساعات والشهور لنتمكن من إعطائها ومنحها وضياعها، بل قد يصل الأمر إلى الثناء والشكر على إعطاء جزء منها للآخرين أو حتى إقراض كميّة منها نحو:

أ.أعطني العشر دقائق التي منحتك إياها.

ب.امنحني خمس دقائق من وقتك.

ج.أقرضني بعضا من وقتك.

د.وقتي ثمين لا يمكن أن أمنحك بعضا منه.

هـ.أعطني دقيقة لأوضحك لك الأمر.

امتلاكنـا لهـذه القـدرة للتصرف في الوقت هي سـلطة واهية، سـلطة نتصـور من خلالها أنفسنا ملاّكا حقيقيين لشيء مجرد لا نملكه أصلا. إلا أن هناك العديد من الدوافع والحيثيات التي تجعلنا نتصور الزمن بهذه الطريقة، بل إن هذه الدوافع ترتبط أشـد الارتباط بالسـياق أو النسـق الاستعاري الذي نملكه الذي من خلاله نربط بين كيان مجرد وبين قابليته لتحقيق لذلـك، قابلية أن نمنـح /نقرض/ نعطي منه قليلا أو نعترض على ذلـك، فهو بضاعة ثمينة ومورد هام وثروة هائلة يجب حسن استغلالها بطريقة جيدة.

3-2 استعارة نظام القياس الزمني.

إذا كانـت بعـض تصوراتنا تنظر إلى الزمن باعتباره ذا قيمة يجب حسـن اسـتثمارها، فإن هذا الاسـتثمار مرهون بفترة زمنية محددة، بل إن محدوديته الزمنية هي التي تدفع إلى عدم التفريـط وضيـاع أي دقيقة من هذا المسـار الزمني، لذلك وجب أن ننظر إلى هذا الاسـتثمار بطريقـة تجعـل منه تصورا موازيا ترتبط قيمته بحجم الكميّـة الزمنية الممنوحة من جهة، أو بحجم الفترة (اللّحظة / السـاعة / الشهر / السنة) الممنوحة من جهة أخرى، فكان الاعتبار الأساس هو وضع نظام قياس زمني يضبط المورد بالفترة.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

إن هذا التصور هو الذي حوّل الثقافة البشرية وجعلها ثقافة مبنية على حوسبة الدقيقة تمنح الأجر بناء على المردودية داخل سياق زمني محدد، هو أمر تبينه السياقات التالية:

أ.أتقاضى أجرا عن ثماني ساعات من العمل يوميا.

ب.منحتني المؤسسة البنكية خمس سنوات لتسديد الدين.

ج.رصيدي الإضافي هو أربع ساعات من المكالمات.

د.يعطيني القانون الحق في عطلة شهر كلّ سنة.

يمدّنا الزمن بأساس ثري جدّا من التصورات لفهمه وإدراك المدى الذي نؤشر عليه، إلا أن الأمر لا يكفي، فتجربتنا مع العالم الخارجي والمحيط تعطينا أساسا إضافيا للفهم يتعدى خطوات الإدراك البسيط الذي يعتمد على النظرة القاصرة التي يمدنا بها المدى. إن الفهم الجيد لتجاربنا يسمح لنا باختيار العناصر الممكنة لمعرفة القياس الزمني ومعالجته وفق أنظمة دقيقة ومحوسبة، هي الأنظمة التي تمكّننا من وضع قياس زمني دقيق نقبض من خلاله على الفترة / المدة، باعتبارها أزمنة مطلقة نسبيا، بل يمكّننا أيضا من ضبط الوثيرة الزمنية بالدقيقة والساعة واليوم والسنة... باعتبارها أزمنة مقيّدة ومحدودة. لذلك يمكن أن نترجم السياقات الواردة أعلاه على النحو التالي:

الحدث		الوقت
العمل اليومي	←	ثماني ساعات
تسديد الدين	←	خمس سنوات
الرصيد الإضافي	←	أربع ساعات
العطلة السنوية	←	شهر في السنة

تتباين الأوقات والأزمنة بحسب طبيعة العمل المراد إنجازه، فإذا كانت ثماني ساعات وخمس سنوات وأربع ساعات والشهر تحيل على أزمنة محددة، فإن عملية ضبطها جاء مرهونا بحدث معين لا يخضع إلى التأثير المحدد، بل إنه يخترق الحاضر بصورة إرادية فيها الكثير من الاستسلام والخضوع، ممّا يجعلنا نفهم أن نظام القياس الزمني عملية مبنية على تنظيم الحياة العامة ممّا يتلاءم والمنظومة الاقتصادية العالمية. فنحن، إذن، نتقاضى أجرا عن المدة التي نعمل فيها، ونستفيد من الرصيد الإضافي للمكالمات حتى أربع ساعات، ونستفيد من عطلة شهر كلّ سنة... وهكذا.

من المهم أن نفهم أن البنية الاستعارية التي تدخل في إطار النظام الذي نعتمده في القياس الزمني وضبطه تجعلنا نتصور أن الأجر الذي نتقاضاه هو عن ثماني ساعات من العمل، في حين أننا نتقاضى أجراً عن أزمنة لا تكرر، عن أزمنة مجردة لا نحققها إلا من خلالنا نحن، من خلال أفعالنا، أعمالنا، أحداثنا، فلا يمكن أن نعتقد أننا نسبح في ثماني ساعات بشكل متواصل قياسا على أننا لا يمكن أن نسبح في النهر مرتين، وهكذا بالنسبة للرصيد الإضافي وتسديد الدين والعطلة السنوية.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

ومـا يعمـق التباس نظام القياس الزمني هو ذلك الارتباط الـذي يوجد بين هذا النظام وبين مجموعة من التصورات الأخرى من قبيل التواتر والحركة، ولتوضيح ذلك نتأمل السياقات التالية:

أ.أقرّت الحكومة بضرورة تحريك السـاعة نحو الأمام ابتداء من الأحد الأخير من أبريل بسـتين دقيقة.

ب.تنطلق المقابلة في 23:30 بتوقيت مكة 20:30 بتوقيت غرينتش.

ج.يقترب الوقت من المساء.

د.تشير الساعة إلى العاشرة والربع.

هـ.تشير الساعة إلى العاشرة إلا ربع.

يصعب، من حيث المبدأ، الانتباه إلى أن هذه السـياقات تخفي شـيئا ما اسـتعاريا، أو حتى الانتباه إلى أن هناك اسـتعارة أصلا، هذه التراكيب المتجـدرة فينا، متجدرة في الطريقة التي تواضعنـا عليها، متجدرة في طرق التفكير اللغوي، إلى درجة أنه قد يصعب أحيانا أن نفترض أنهـا لا تعكـس الحقيقـة، والنتيجة أنه حين ننظر إلى ما تقتضيه الاسـتعارة نكتشـف أنها تحكـي أكثر مـا تفصح عنه. على اعتبار أنه إذا خرجنا من مجال طـرق التفكير الضيق قد نجد أنفسنا نقبض على معطيات جديدة لها دلالات مستقلة وثابتة، (دراسة الأمثلة مباشرة).

لتحليل البنى مجتمعة، رغم كونها ذات أنماط لغوية متقاربة، نقترح نظاما افتراضيا واحدا يتمحور أساسـه حول بنية الزمن، ويعتبر أن النسـق الزمني الذي يمتلكه الإنسـان يمكنّه من وضع نظام قياس دقيق يعتمد أشدّ الاعتماد على فعل الحركة، فإذا كان الإنسان مهووسا منذ القديم بتوزيع يومه إلى فترات متباينة، فإن ابتكار السـاعة قد حوّل هذا الهوس إلى حقيقة، وهي الحقيقة التي يفترض من خلالها الإنسان أنه قد قبض على توزيع يومه بصفة حقيقية ومتوازنـة، بل اسـتطاع أن يضع لذلك خطا فاصلا لتوزيـع التوقيت العالمي بين الدول بصفة عادلة تنسجم مع موقعها من خط غرينتش.

فَحين ننظر إلى البنية في (أ) نجد أن ضرورة تحريك الوقت بساعة قد ارتبط بفعل الحركة، هو الفعل الذي نفسّـر من خلاله العديد من التصورات المتباينة التي تمكننا من الانسجام مع سـياق العمل / النوم / الراحة... إلا أن هذا القياس قد يختلف أو يتباين مع البنية (ب) التي تفـرض علينا أن نسـاوي في عمليـة توزيع الوقت بين 23h30 بتوقيـت مكة وبين 20h30 بتوقيت غرينتش؛ أي أن متابعة المقابلة مباشـرة يجعل من السـاعة الحادية عشـر والنصف مطابقة للساعة الثامنة والنصف، علما أنّنا أمام مجالين جغرافيين مختلفين تماما، مختلفان بالنظـر إلى نظـام القياس الزمني الـذي اعتدناه في تحديـد الوقت. إلا أنهما قـد يبدوان في انسـجام تـام أو في تطابق يماثـل بينهما بالنظر إلى الحدث (المقابلـة)، لذلك، فإذا أردت أن تتابـع المقابلة فلابد لك أن تحرك السـاعة إلى الأمام بثلاث سـاعات ونصف لكي تتمكن من انجـاز حدث متابعتها مباشـرة، أمـا إذا كان الزمن يخترق الذات، فإن البنية المجسـدة في (ج) تجعل من المسـاء شـيئا متموقعا في الأمام فوجب تحريك البصر أو الذات إليه (المسـتقبل) حتى نسـتطيع فرز معطى من قبيل «يقترب وقت المسـاء»، بل إن الأمر نفسه ينطبق على

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

(د) و(هـ) حيث أن حركة عقرب الساعة بالنظر إلى البصر هي التي تعطينا تمثلا دقيقا أننا أمام العاشرة والربع أو العاشرة إلا ربع. باعتبارهما زمنين مختلفين بالنظر إلى «الحرف» الذي غيّر من التوقيت بشكل جدري.

بحسب هذه المؤشرات، نفهم «الزمن» في صورة نظام قياسه انطلاقا من التصورات الاستعارية التي نعتبرها جزءا مهمّا في بناء الأنساق اللغوية على اعتبار أن التصور الذي يقود نحو تقسيم اليوم إلى دقائق أو ساعات ما هو إلا استنتاجات توصل إليها الإنسان من أجل فك لغز الزمن، وإضافةً كيفيّة نبنين من خلالها النسق الزمني على الرغم من أننا نبنين في الحقيقة كيانا مجرّدا واحدا موغلا في التجريد، ولفك هذا التجريد نضطر إلى بناء أنساق الزمن عبر مجموعة من التصورات الاستعارية التي تجعل من السادسة تشير إلى فترة الصباح والثانية عشرة إلى منتصف النهار والرابعة إلى بعد الزوال، و(h0000) إلى منتصف الليل، وهكذا...[5]

هذه الاعتبارات البسيطة تعطينا دليلا أننا في حاجة ماسة إلى الاستعارة لكي نتوهم أننا نقبض على الزمن، ولكي نشفي فضولنا في أننا نتمكن من الوقت ونسيطر عليه، في حين أن العكس هو الحاصل، الزمن يسيطر علينا بشكل قوي، نتفاعل معه ونعمل فيه إلا أنه جبار، منتقم، طيب، كاسر، ولكي نحول بيننا وبينه ونعترف له بالقوة والجبروت نستعير ألطف التعابير حتى نتمكن من التفاعل معه والاستسلام له.

3 - التأويل الاستعاري لمقولات الزمن.

كيف يمكن أن نؤول الزمن؟ تبدو الإجابة عن هذا السؤال أنها لن تؤثر بشكل كبير عن استعمالنا للغة بالطريقة التي نريد التواصل بها، إلا أن المشكل الذي نصادفه هنا هو مشكل تأويلي وليس مشكل معطيات، فإذا كانت عملية التواصل اللغوي لها أهمية بالغة في تأطير السؤال، فإن الناس يعملون على نقل المعلومات إلى بعضهم البعض من خلال التلفظ بأقوال معينة، وهي الأقوال أو التراكيب التي تعبّر عن مقتضيات لا يمكن أن تكون صالحة للتواصل إلا إذا مرّت من امتحان التواصل؛ أي أن مفعولها على المستوى التجريبي يجب أن يكون له معنى، فما ليس له معنى لا وجود له على مستوى التواصل، هو المقتضى الذي يفرز أحقية اعتبار الفعل التواصلي فعلا تأويليا، إلا أن التأويل الذي نتحدث عنه ليس شيئا واضحا تماما، وليس شيئا يسعفنا بشكل مباشر في فهم مشكل الزمن، فقد نسند لجملة ما عددا من التأويلات التي قد تكون تعنيها، ليفاجئنا السؤال: هل تشكل كلّ هذه اللائحة من معاني جملة واحدة أم إن تأويلا واحدا ينبغي أن يسند إلى هذه الجملة؟ ولماذا هذا التأويل وليس ذاك؟ وهل من بين كل المعاني المستنبطة المعنى الصحيح؟

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

3-1 مشكلات في قواعد الإنتاج الاستعاري.

قـد يكون من الصعوبـة بمكان أن نقترح نظرية تأويلية للاسـتعارة خـارج حدود التجربة، فنحن ندرك دائما وجود تجليات تجريبية سابقة تعطينا مؤشرات استعارية قوية، فكما يؤكد ‹‹امبيرتو إيكو›› (التأويل بين السيمائيات والتفكيكية) (2004)، أنه بقدر ما يكون الابتكار الاسـتعاري أصلا، بقدر ما يؤدي إلى خرق العادات السـابقة، فمن العسـير جدّا ابتكار اسـتعارة جديدة اسـتنادا إلى قواعد معروفة، ويؤكد أن كلّ محاولة تروم تحديد قواعد لإنتاج استعارات اصطناعيـة لـن يترتب عنها سـوى توليد اسـتعارات ميّتة، أو أقلّ تقدير اسـتعارات تافهة، فغالبا ما ينتج المتكلم استعارات عن طريق تداعيات فكرية لا يمكن التحكم فيها.[6]

الواقـع أننا نفصـح دائما عن مجموعة من المقتضيات التي تسـاعدنا في عملية الكشـف عـن الطرق الممكنـة التي نتفاعل بها مع العالم والمحيط، بناء على مجموعة من الخطاطات التي تتكون في أذهاننا نتيجة تواترها المسـتمر في تجربتنا، وتشـكل هذه الخطاطات أساسا جوهريـا لبنـاء العديد مـن التأويلات التي تسـاهم في تشـكيل المعاني وتحويل المؤشـرات اللغويـة إلى مؤشـرات دالة، تفكّ رموزها وتحقـق عملية التواصل المرجـوة، فكلّ التصورات المكونة للاسـتعارة سـواء أكانت تأويلية أم لا تعكس بشـكل جلّي ذلك التفاعل الموجود بين المحيط الفيزيائي في العالم وبين الإنسان، أو بصيغة أخرى ذلك التفاعل الذي يجعلنا نبنين الزمن وفق حاجياتنا ووفق ما تقتضيه الضرورة.[7]

إن التداعيـات الحـرة التي يملكها الذهن في عملية التأويل تجعل من التواصل الاسـتعاري تواصلا مرمّزا (encoded)يجب فكّ شـفرته، بل إنه تواصل بالغ الحساسـية بالنسبة للسياق، فانتقاء حيّز استعاري دون آخر يتم فقط من أجل نقل المعنى، لكنه يجعل من القارئ (المتلقي / المخاطب) مؤوّلا نموذجيا، لهذا السـبب فإن دراسـة الاسـتعارة تعطينا فرصة جيّدة للبحث عـن الفـرق بين المعنى اللامتغير والمعنـى المرمّز، ممّا يعطي الانطباع أن تأويل الاسـتعارة تتحكم فيه العديد من القوى الداخلية وتحديدا المعطيات الثقافية، ولنقُل المعطيات التي لها صلة بالتجربة، إذ يظهر المعنى الاستعاري من خلال توظيف مجموعة من التداعيات التي ترافق العناصر اللغوية في ذهن مستعمل اللغة، وهي التداعيات الراسخة التي تجعل التواصل الاستعاري تواصلا واعيا شديد الحساسية في السياق.[8]

فـإذا كانت معظم الدراسـات أو الأبحاث اللسـانية (ايفانس2006،2004)،(لايكوف1993((لايكـوف وجونسـون 1980)، قـد حاولـت أن تقارب الاسـتعارة من زاويتي نظـر مختلفتين خصوصا عندما نتحدث عن مشاكلها، فإنها قد وزّعت ذلك على مشكلين اثنين، مشكل المعنى ومشـكل التأويل، واعتبرت أن مشـكل المعنى كيان مسـتقل عن التأويل، بـل إن تحديد أيّ معنى اسـتعاري يتطلب البحث عن التداعيات اللغوية والمعجمية والدلالية التي يتم التأشير عليها قبل الوصول إلى المعنى، وأن المعنى الذي نحصل عليه جاء بعد ولادة قيصرية للكثير من الخلفيات الراسخة والمركّزة في الذهن، في حين يبقى التأويل مستوى آخَر أعلى درجة وأكثر تعقيدا، خصوصا عندما يرتبط هذا المبدأ بالقراءة الجيّدة للمعنى مع إمكانية تفسيره وربطه

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

بـكل جزئياتـه الذهنية والثقافية، وعليه فإننا نفترض أن بناء النسـق الاسـتعاري للزمن لا يمكـن أن تقوم له قائمة تواصلية إلا عندما يتم الربط بين المعنى والتأويل، وأنّ بإسـقاط أحدهما تسـقط البنية الاسـتعارية تماما، فالمعنى ملازم للتأويل، والتأويل لا يمكن أن نفكّ رموزه اللغوية إلا عبر خطوة تجديد المعنى.

3-1-1 مشكلات في التأويل.

إذا افترضنـا أنّ جـلّ المداخل المعجمية تعد جـزءا من القدرة اللغويـة للمتكلم، فإنها تعدّ خاصية إنسـانية مشـتركة بين جميع المتكلمين، وهذا تفسير يشـرح التطابق الموجود بين المعنى الاسـتعاري والتأويـل(Interprétation)، إلاّ أن هذا الافتراض قد تعوقه مجموعة من التفاصيل خصوصا في عملية اسـتعمال الاسـتعارة، إذ لا يمكن أن نسـلم بوجودها إلا عندما نملك القدرة على تجاوز كل ما هو شائع ونمطي في اللغة.

بيّن «أمبيرتو إيكو»(2004) أن التأويل الاستعاري عبارة عن خاصية التشاركية في التواصل اللغـوي، إذ لا يمكـن أن يعدّ نتاجا دلاليا جاهزا مأخوذا من النظام اللغوي، لكنه يعدّ نفسـه، نتاجا لعملية تأويلية منفصلة، لذلك فإننا نفترض أن الاستعارة مشكلة تأويلية، إنّها لغز كما أقرّ بذلك أرسطو، فمعنى الاستعارة يظل دائما مفتوحا على عوالم تأويلية متعددة، فوجب ألاّ نسـتنفذ معه كلّ ما يتعلق بالتصور على المسـتوى المعرفي، لذلك فإننا نضطر للاتفاق مع ما قدّمـه « بـول ريكور (2004) في كتابـه The Rule Of Metaphor [9] خصوصا مع الجانب الذي يعتبر فيه أن الاستعارة تستخدم الكثير من ملكات الإنسان حتى يتم تأويلها (تحديدا التخيّل والإحسـاس) وهذا ما يفسّـر وجود بعض الاسـتعارات التي يسـهل تأويلها، في حين قد توجد استعارات أخرى من الصعب أن نجد لها تأويلا.

يتحدد هذا الفرق عندما نوجّه عبارة استعارية إلى متكلمين يتكلمون اللغة نفسها،أو لنقل إلمتكلمين يملكون «الخلفية الثقافية» نفسـها، لكن عندما نضيف ‹‹المعرفة المشـتركة›› فإن التأويل الاسـتعاري يعـرف الكثير من العراقيل التواصلية، الأمـر الذي يجعل من عملية التواصل اللغوي شـيئا صعبا جدا، بموجب ذلك تفترض عملية التأويل وجود أكبر قدر ممكن من ‹‹المعرفة المشتركة›› حتى يسهل الفهم والإفهام وتيسّر معه المعرفة.

ويـزداد تفاقم المشـاكل في التأويل الاسـتعاري لعبارة ما عندما يتـم الاحتكاك بين لغتين مختلفتين، بمعنى في الحالة التي تترجم فيها عبارة استعارية إلى لغة أخرى، فالحدود اللغوية هـي في الوقت نفسـه حدود لثقافـات وعادات وتقاليد لمجموعات مختلفـة، وهي حدود لكمّ هائل من التجارب التي تضيق أو تتسع من بلد لآخر، لكن رغم ذلك فإن كلّ «عشيرة لغوية»[10] تشـكل منظومة تواصلية خاصة، تخلق لنفسـها أبعادا تواصلية مكثفة الإيحاءات والرموز، وهو بعد يؤمّن تقوية مجموعة من الاعتقادات والمواقف المتجانسـة، وبالتالي فهي تساهم في تكوين عالم مشترك، لكن ليس «معرفة مشتركة»، وإذا كان هذا العالم المشترك يحفظ لنا تماسكنا اللغوي، فإنه في مقابل ذلك، يفقدنا السيطرة على تأويل المعنى الاستعاري بالقيمة

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

المعرفية التي نريد إيصالها، بل إنه يفقدنا السيطرة في تبديد المسافة التواصلية التي توجد بين لغتين)ثقافتين / تجربتين)، فيظل التأويل محتفظا بقوته كامنة في طبيعة المشترك الذي يجمع بين متكلمين لنفس اللغة، وتضعف هذه القوة عندما تزداد الهوة بين اللغات.

فـإذا كانـت كلّ «عشـيرة لغوية»تسـتعمل أبعادا خاصـة في عمليات تواصلهـا، فإن الأمر سـينطبق أيضا على الزمن، باعتباره يشـكل أحـد أهم الكيانات المجردة التي يشـتغل الذهن البشري على منسقتها معرفيا من لغة لأخرى، فكل ثقافة من الثقافات العالمية تسيطر على الزمـن من وجهة نظرهـا الخاصة، وهذا يؤكد أن عملية التأويل سـتعرف هـي الأخرى عرقلة تواصليـة كلّمـا ابتعدت عن المحيـط الذي تُنتج داخلـه بالنظر إلى المعاييـر الثقافية التي نستنبطها من خلال السياقات التالية:

أ. الوقت الذي قضيته أثلج صدري.

ب.Le tempe que j'ai passé m'a réchauffé le cœur.

عـلى الرغـم منـأن اسـتعمال الاسـتعارة في البنيتين يمكـن أن يكون مفيـدا فيما يتعلق بالتواصل اللساني بصورة عامة، إلا أن مشاكل الاستعارة تبدو أكثر وضوحا هنا وتحديدا عندما نباشر بإدخالها إلى مختبري التجربة والترجمة؛ أي عندما نريد نقل معناها إلى لغة أخرى، وهي اللغة التي تملك خلفية ثقافية ونظام قيم آخر يختلف عن اللغة الأصل، ممّا يعطي الانطباع أن التأويل الاستعاري للبنيتين يختلف حسب الثقافة التي أنتجت السياق.

هـب أنّنا في بيئة تعيـش معظم وقتها تحت طائل الثلوج والأمطـار والبرد القارس، وأن هذا المحيط يحتاج دائما إلى تدفئة مسـتمرة حفاظا على التوازن والاسـتمرار في الحياة، وأن هذا المجتمع يصرف أموالا طائلة من أجل توفير الغاز الطبيعي للتدفئة، فإنه منطقي سينتج عبارات لغوية نستوحي من خلالها كل ما يمكن أن يساهم في تدفئة جسده حتى لغويا، وهي مقتضيات تجعل من البنية (ب) بنية استعارية يقوم تأويلها الاستعاري على طبيعة المحيط.

أما إذا كان الأمر يتعلق ببيئة ومحيط صحراوي يعيش تحت وطأة ارتفاع دائم في درجات الحرارة، و يصرف على نفسـه مبالغ طائلة لكي يكيـف جوه ومناخه ومحيطه حتى لا تهلكه درجات الحرارة المرتفعة، فإنه منطقيا يسـتنتج عبارات من قبيل (أ) لأنه في حاجة ماسـة إلى إثلاج صدره حتى بحيز أو سـاعة أو لحظة أو مدة من الفرح والسـعادة يعتبرها بمثابة قطعة ثلج على صدره.

«بعـض الوقت»، أثلـج صدر العربـي، وأدفأ صدرالغربـي، خياران ثقافيان يسـيطران على التأويل المحتمل للاستعارة والمحكومة ببنية تصورية عميقة تجعل من النسق الفكري فكرا استعاريا يؤول المدة الزمنية حسب طبيعة التجربة ونوعها والمحيط الذي أنتجته، لكن ماذا عن التأويل الاستعاري داخل اللغة نفسها؟

الأكيد أن أي تأويل للنسـق الاسـتعاري للزمن سـيعمل على اسـتثمار كل المعطيات التي لهـا علاقة بالبعد المعرفي المشـترك مـن أجل خلق وتوليد علاقات تواصليـة كافية وناجحة، إلا أن البعد المعرفي المشـترك قد لا يكون كافيا لكي يكون للاسـتعارة تأويلواحد مشترك. بل

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

مــن الممكــن أن يرتبط الأمر بالتجربة الفردية أو البعد الفردانــي في عملية التأويل أو بالبعد النفسي الذي يعطيه للعبارة الاستعارية، الشيء الذي يؤثر على عملية الفهم وعملية الإفهام، لنتأمل السياقات التالية:

أ.يداوي الزمن كلّ الجراح.

ب.الزمن كفيل بكشف كل الحقائق والأسرار.

ج.لم أشعر بالوقت وأنا برفقتك.

د.لم أستطع تحمّل الموقف لذلك مرّ عليّ الوقت ببطء.

ه.أكره الانتظار.

م.أتشوق إلى رؤيتك.

و.رؤيتك أدابت كلّ السنين التي لم ألتق فيها معك.

إذا تأملنــا هذه الســياقات نجد أنها تعبر عن معان زمنية مختلفــة، وهو مظهر من مظاهر غياب النسقية في التصنيف الموحد للبنية الزمنية بشكل عام اعتبارا « للمعرفة المشتركة»، وإذا تأملنا ما تقوله مجموع الأدبيات اللســانية سنجد أن مثل هذه الإشكاليات لم يتم الفصل فيهــا لكونهــا ظلت تســلم بوجود طرق متعــددة في تحليل الزمن، إلا أن كل هذه الســياقات الواردة أعلاه تقتضي أننا نملك رؤى تصورية مختلفة، كل واحدة يؤسس على خلفية تصورية معينة ومختلفة، بل إن كلّ تصور من هذه التصورات يستدعي تجربة خاصة مع الزمن.

تمكننــا التجربــة من إعطاء العديد من التأويلات للزمن بحســب ما نريــد إيصاله، فإذا كان التأويــل الأقــرب والمفترض في (أ) يقتضي منّا أن نتصــور الزمن وكأنه طبيب جرّاح قادر على معالجة جراحنا ومداواتها بما يلزم من الصبر والمثابرة، فإن التأويل المحتمل في ذلك ينبني على طبيعة المعاناة التي نعانيها من جهة، ونوع التجربة مع المرض من جهة أخرى، وهي جزئية تفترض منّا أن نعبر عن الزمن في (ب) وكأنه منظار كاشــف لكل الحقائق المســتورة، بل إنه مرآة تعكس الوجه الحقيقي للإنسان، فيكون التأويل الاستعاري له مبنيا على خلفية تصورية وتجريبية ســابقة تعطي كلّ المصداقية للزمن لكي يفضح الأســرار، ويزيل القناع، ويكشــف الوجه الحقيقي للإنسان. إلا أن هذه التجربة تزداد قوّتها عندما لا نستطيع الشعوربمرور الوقت ونحن برفقة الحبيب في (ج)، بمعنى أن التأويل المحتمل يقتضي اســتحضار مدى قدرتك على تمثّــل الضغط الزمني الذي يوزّع بين مرور الوقت بســرعة ومروره ببطء في (د)، وهي عملية تجعلنــا نحبّ من أوقاتنا كل ما يمكن أن يمرّ علينا دون أن نستشــعر شــيئا بمروره، وتجعلنا نكــره كل مــا له علاقة بالانتظار (ه) ونتشــوق إلى ضرورة رؤية الحبيب بــكل ما أوتي للزمن من ســرعة (م). لذلــك، وعندما تتحقق هذه الرؤية، تذوب معها كلّ المســافات، وكل لحظات الانتظار الضاغطة، وكل السّاعات والأيام التي شكلت عبئا على كاهلنا في (ن).

الملاحظ أن التأويل المختلف للاستعارة في السياقات الزمنية الواردة ليست قائمة شاملة، إلا أنهــا تحتوي على أغلــب العناصر التي يقتضيها المســتوى التصوري العام، فالاســتعارات في اللغــة ليســت ممكنة إلا لأن هناك اســتعارات في النســق التصوري لكل واحــد منا[11]، وما

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

لفت أنظارنا في هذه القائمة أن كلّ تصور فيها، هو جانب من بنية استعارية / تصورية خاصة تقودنا نحو بناء نسق معرفي يتوقف على قدرتنا على استخلاص بنية المستوى العام للنسق اللغوي، فقدرتنا على تمثل الأبعاد الاستعارية هو الذي يساعدنا على تذويب المسافة التواصلية ووضع تأويلات تقترب، شيئا ما، من المقصود والمبتغى.

3-1-2 مشكلات في المعجمة.

من بين المواقف الهامة التي يجب التوقف عندها ونحن نتكلم عن مشاكل المعجمية هي أن استقلالية الفكر عن اللغة، على الرغم من إمكانية أن يأخذ مكانه في غيابها، وهو موقف يسير في اتجاه معاكس للحدس المشترك الذي يعتبر أن الفكر يأخذ مكانه في اللغة. ونفترض تبعا ل»جاكندوف» (2002) أن الصورة اللغوية تقدم وسيلة للفكر ليكون في متناول الوعي، فإذا لم تكن مستعدا للتعامل مع اللغة والذكاء والوعي والذات والتفاعل الاجتماعي والثقافي، فإنك لن تفهم المعنى[12]، ولن تتمكن من الوصول إلى المعجمة(lexicalization) السليمة للزمن، بل إن تدخل تلك الإمكانات هو الذي يساهم في إسقاط العديد من التأويلات في المعجم، وإهمال الكثير من المعطيات الدلالية الأخرى التي ظلت على التخوم ولم تستطع أن تدخل مجال التحليل، ويعود السبب في ذلك إلى مركزية التركيب في الأبحاث اللسانية الأولى مما دفع بكلّ المقاربات البديلة إلى إطلاق النار على المرسل[13].

تتفق كل هذه المقاربات على أن كلّ معاني الألفاظ في اللغة لها دلالة معجمية، وهي دلالة نابعة من المستوى التصوري الذي يمنسق التقاطنا للتجربة فنعبّر عنها باللغة، وهو مستوى تصوري متسق ومطرد مثله مثل القواعد النحوية، بل إن هذا المستوى التصوري يدخل في إطار المعرفة النحوية العامة المتوافرة عند الإنسان، وعلى النظرية الدلالية، باعتبارها الوعاء والمجال الفرعي للنظرية اللغوية، أن تحدد المبادئ الدلالية العامة التي تتحكم في المعجمة، وترصد القواعد التي تتيح لنا التوسع في معاني الوحدات المعجمية للزمن. بل يجب أن تصل إلى مستوى أعمق من ذلك من خلال امتلاكها القدرة على إزالة الالتباس والتباين والغموض. ويفترض من هذه القواعد أن تشكل بنية نسقية لوجود معان ممكنة ومعان غير ممكنة، بمعنى وجود قواعد نسقية تتيح التعامل مع الممكن وتقصي في الآن نفسه غير الممكن، فيكون الممكن هو ما نتصوره موجودا في بيئتنا التصورية، لذلك وضعت الأدبيات اللسانية العديد من القيود للمعجمية، وهي قيود تتأرجح بين قيد التعبيرية وقيد الكلية وقيد التأليفية[14]. وهي قيود لا يمكن أن نسلّم بعموميتها وشموليتها، إلا لأنها تقرّبنا نسبيا من إدراك حجم المسؤولية التي يجب أن نستشعرها قبل أن نصل إلى المعجمة، فتنوع الأزمنة مثلا، لا يمكن أن يوازيه التنوع الممكن على مستوى السمات الدلاليةSemanticfeatures، ولإبراز ذلك ننظر في التراكيب التالية:

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

)28(

أ.مرت سبع سنوات على علاقتنا.

ب.أتذكر تفاصيل علاقتنا منذ بدايتها.

ج.بلغت علاقتنا قمتها.

)29(

د.لم تصل علاقتنا إلى المبتغى.

ه.علاقتنا مفتوحة على كل الاحتمالات.

إذا كان المشكل الأول مشكلا تأويليا، فإن المشكل الثاني الذي تكشفه هذه السياقات هو مشكل في المعجمية أصلا، وإذا كان التأويل المحتمل لهذهالتراكيبينبني على الاستقراء الجيد للزمن وحوسبته وفق نظام تسلسلي يحترم المدة واللحظة، ويحترم فعل الحركة، فإننا نستنبط أيضا أنه لا توجد سمات تمايز الزمن رغم تمايزها أصلا، فما هي السمة التي نجدها في اللحظة مثلا ولا نجدها في المدة ؟ وما هي السمة التي نجدها في الفترة ولا نجدها في اللحظة؟

معلوم أن ما يجعل التمايز حاصلا بين هذه المفاهيم هي قيم تصورية أخرى دقيقة وعميقة نحوسبها من حيث سماتها، لذلك فإن المعجمة هنا تقتضي منّا وجوب فهم العلاقة وكأنها كميّة أو حصيلة بلغت من حيث الحجم سبع سنوات من الاستمرار في (أ)، الشيء الذي يتمايز عن (ب) الذي تتم معجمة الزمن فيه باعتباره علاقة مجزأة إلى مراحل من الأحداث والتفاصيل لا يمكن قراءتها إلا من منطق محتواها الجمعي، ونتصورفي (ج) أن مسار العلاقة الزمنية وكأنه انجاز أوصل العلاقة إلى أوجها فتحقق النجاح بمجرد وصولها إلى أوجها وقمّتها، في حين تؤشر(د) على معجمة مختلفة للزمن من خلال تصورنا للعلاقة وكأنها مبنية على التدرج والممارسة التي لم نصل من خلالها إلى ما نطمح إليه، فتوقف مسارها عند مفترق لا يسمح لنا بأن نستمر معا، في حين نمعجم العلاقة في (ه) على أساس عدم قابليتها للتنبؤ، فهي مجال زمني مفتوح على النجاح والفشل.

إذا كانت هذه الوسائط تساهم بشكل كبير في معجمية الزمن، فإنها لن تكون كافية إذا وجدنا خصائص أخرى قادرة على رَوز كل الاحتمالات الممكنة من قبيل: ارتكاز المعجمة في (أ) و(ج) على الامتداد، و(ب) (أ) على التدرج، إلى جانب المحدودية في (أ. ب.ج) و(د)، واللامحدودية في (ه)، كلها سمات تفرع من منطلق القراءة الفاحصة لمكونات البنية العميقة للمحمولات الزمنية، وتظهر تجلياتها على مستوي توجيه السياق صوب المعنى الذي يجمع بين ما هو تركيبي ودلالي/ أنطولوجي من خلال التركيز على فعل المقولة، الشيء الذي سيساهم بشكل نسقي في تنظيم المعجم وجعله نسقا محوسبا من الداخل.

قد تكون هناك علاقة مبدئية بين كل هذه السمات التي طرحناها، إلا أن هذه العلائق نفسها هي من صنع المتكلمين ليس إلا، فالامتداد والتدرج والمحدودية والكتلة كلّها إسقاطات بشرية على الزمن، فالمتكلمون يبنون الدلالات اللغوية انطلاقا من التصورات الذهنية التي يملكونها، بل يبنونها أيضا من كيفيات التقاطهم للتجربة، ويتحدد الالتقاط بكونه ذلك التنظيم الذي

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

يمنحه المتكلم للزمن، ومن تم تطرح إشكالية إيجاد معجمة دقيقة له، بل إيجاد تأويل نسقي واحد تتوافر فيه كل الشروط الضرورية والكافية لتحقيق تنظيم معجمي نسقي.

تبعا لذلك، فإن إيجاد حيثيات واحدة للعالم والتجربة تؤثر بصورة غير مباشرة في اللغة، بل إن دورها ينحصر في كونها تساعد وتعمل على تحضير السيرورات التنظيمية التي تتيح لنا إمكانية إيجاد عمليات نسقية تساهم في بناء معجمة كافية للزمن، خصوصا أن هذا الأخير يعتبر من المفاهيم الزئبقية التي تتلون بحسب سياق ورودها وسياق التجربة.

إن مشروعية المعجمة لا يمكن أن تنبثق إلا من خلال السياق العام الذي يفرضه المتكلم على لغته، وأي شيء غير هذا، سيولد شذوذا دلاليا، هو الشذوذ الذي يستدعينا دائما إلى أخذ الكثير من الحيطة والحذر عندما نصطدم بالتأويل الاستعاري الذي يملك قوة ايحائية كبيرة تساهم في بناء المعنى، وبناء نسق معجمي مستوف لكلّ ما من شأنه أن يدخل في تنظيم المعجم ومنسقته، لذلك فإن فعل المعجمة يجب أن يراعي كل الخصوصيات والسمات والمعطيات التجريبية والثقافية في بناء المعجم.

3-2 تأويل طبقات الأزمنة.

تبشرنا التحاليل التي أقيمت على المعجم أن كل الأدبيات اللّسانية التي تصورت المعجم أعطت استنتاجا مفاده أن كل هذه التصورات لم تكن متجانسة، فقد تنوّعت بحسب تنوع الطرق التي سلكتها في بناء التنظيم العام للنحو [15] فتنوع هذا التنظيم بين مجموعة من القواعد التي فرضت علينا بناءً نسقيا للمعجم ينتقل من المعجم الدلالي مرورا بالانتقائي والتحويلي ليصل إلى معجم المعجمية. وبالنظر إلى كل القيود التي فرضت على مبدأ التأويل، ندرك أن كلّ المداخل المعجمية المرتبطة بالزمن تحديدا تتضمن قيودا سياقية تتلاءم ومعاني الألفاظ المكونة للجملة، فكلّ بنية زمنية تتشكل من قيود انتقاء خاصة تمايز كل نسق زمني عن آخر بما يضمن الاختلاف ويضمن التمايز المنشود في تأويل طبقات الأزمنة.

قد نجد العديد من المداخل المعجمية للزمن تشترك في عدد من السمات والقيود، إذن، فلا مانع من تصنيف الألفاظ التي يحتويها المعجم بحسب طبيعة السمات المشتركة فيكون التأويل تأويلا عماده السمات المشكلة في المكون القاعدي الذي يجعل منها طبقات معزولة عن باقي الألفاظ الأخرى وغير منظمة في طبقات بواسطة سمات دلالية مشتركة ومتجاورة وقد تكون في بعض الأحيان متضادة.

لنتأمل السياقات التالية:

)1(

أ.أكتب قصة قصيرة منذ ساعة.

ب.أجري حوالي ساعة.

ج.أعمل في مجال السياحة منذ سنة.

د.مكث في عمله عشرون سنة.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

)2(

أ.بلغت الثمانين من عمري.

ب.أنجزت عملي في الساعة العاشرة.

ج.أتممت كتابة الرسالة.

د.آمنت بالنسبية منذ طفولتي.

ﻫ.اكتشفت الحقيقة متأخرا.

)3(

أ.أحب كتابة الرسائل.

ب.أكره مشاهدة الأفلام الكلاسيكية القديمة.

ج.أحس زيد بالمرض.

إن مـا يمكن أن نسـتخلصه ونحن نتأمل في التراكيب الـواردة في (1) و(2)، أنها توزع بين أزمنة مسـتمرة وأزمنة غير مسـتمرة، بل إن هذا التمايز يمكن قراءته من زاوية أن التراكيب الـواردة في (1) تحمـل بعدا زمنيا بسـيرورات تقع وتتقدم عبر الزمن، وأزمنة في (2) ليسـت كذلك، بمعنى أن التمايز الممكن يسـاعدنا على اسـتقراء العديد من الجزئيات التي تساهم في بناء طبقات للأفعال وفق سيروراتها الزمنية وقدرتها على الحدوث ومحدودية مدتها.

ومـا يدعونـا إلى التسـاؤل هـو أن طبيعـة الأزمنـة الـواردة في (1) تقبـل أن تؤول على الاسـتمرارية، إلا أن مجموعة من الملاحظات يمكن أن تستنبط عن بعد، وهي إذا كان صادقا أن أحدا يكتب الآن (1أ)، فإنه وإن انتهى من الأمر في اللحظة الموالية، فإنه سيكون صادقا أنه كتب، ومن جهة أخرى، إنه وإن كان صادقا أن أحدا كتب ساعة حتى الآن، فإنه وإن انتهى من الكتابة في أي لحظة موالية، فإنه قد يكون صادقا أنه قد كتب في سـاعة، بمعنى أدق، إذا توقف أحد عن الكتابة في ساعة، فإنه لن يكون قد كتب في ساعة، ولكن من يتوقف عن الكتابة يكون قد كتب، وبالتالي لا معنى للحديث عن إكمال الكتابة. فنصل إلى أنه إذا لم تكن الكتابة نقطة نهاية، فإن الكتابة في ساعة لها ذروة / قمّة يجب بلوغها، لذلك يكون السؤال عـن ذلـك بالمدة تحديدا (مـا المدة التي اسـتغرقتها في الكتابة؟). نسـتخلص كذلك من هذه الاعتبارات أنه إذا كان صادقا أن أحدا كان قد كتب لمدة ساعة من الزمن، فإنه يجب أن يكون صادقا أنه كتب خلال كل أطوار هذه الساعة، غير أنه إذا كان صادقا أن من كتب نصف ساعة، فـلا يمكـن أن يكون صادقا أن الكتابة كانت في سـاعة كاملة من كلّ الأطـوار الفعلية لهذه الكتابـة، رغـم كونه يبقى صادقا أنه كان يكتب ومنخرطا في ذلـك خلال كل الأطوار الفرعية التي تتكون منها تلك الساعة، لذلك فإن كل جزء من الكتابة هو من طبيعة الكل نفسه.[16]

و بالطريقة نفسـها يمكن أن نجد بعدا اسـتنتاجيا ينطبق عـلى التراكيب الزمنية الأخرى، تحديدا أنه إذا كنت أجري في ساعة (1 ب)، فإنني لن أكون قد جريت إلا عندما أقطع كل أطوار الدقائق التي تكوّن الساعة، فإذا كان قد جرى نصف الميل فقط، فلن يكون صادقا أنه جرى الميـل كلـه، رغم كونه يبقى صادقا أنه كان يجـري، ومن توقف عن الجري فلن يكون صادقا

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أنه جرى، فلا معنى للجري إلا من خلال بلوغ كل جزئيات المسافة في ساعة. وإذا كنت أعمل في مجال السياحة منذ سنة(ا ج) فإنه لا يمكن أن يكون صادقا أني قد عملت إلا عندما أعمل في كلّ الأطوار التي تكوّن السنة، فلن يكون صادقا أني عملت أربعة أشهر من السنة، رغم أني كنت أعمل، إلا أن صدق العمل لا يكتمل إلا ببلوغ كل الأيام التي تكون جزئيات السنة، بل والمكوث في كل الأطوار التي تكون مدته وهكذا.

إذا كان الأمر هنا يرتبط ب»العمل» و»الكتابة» و»الجري»، فإن الأمر يتطلب نوعين من الاعتبارات الزمنية، اعتبار أول يراعي المدة التي تمت فيها الكتابة والعمل والجري بأكملها، وجانب لا يراعي ذلك، بمعنى أنه حتى وإن لم أكن قد أتممت فعل الكتابة أو الجري أو العمل، فإنه يكون صادقا أني قد كتب وعملت وجريت، إذن يمكن أن نصل إلى نتيجة تأويلية نقرأ من خلالها هذه الأفعال وفق سياق ورودها الزمني على النحو التالي:

››فإذا كان صادقا أني قد جريت ساعة بأكملها، وكتبت القصة في ساعة، وعملت مدة سنة بأكملها، فإننا يمكن أن ننعت هذه الأفعال بكونها عبارة عن إنجازات» حققنا فيها النشاطات التي كنا نمارسها، في حين أنه إذا لم يتم ذلك في المدة المخصصة لذلك بأكملها، فإنه يكون صادقا أنه كان يكتب ويجري ويعمل، فننعت تلك الأفعال بكونها «نشاطات» لم نستطع أن نحقق كل الانجازات التي كنا نرجو تحقيقه‹‹.

يبدو أن الأمر ليس كذلك عندما نتأمل التراكيب الواردة في (2)، إذ إنها أفعال تؤول زمنيا باعتبارها أزمنة تفتقر إلى الاستمرارية وإلى السيرورة عبر الزمن، وعليه، فإنها تملك سمة ورودها لمدة أو لحظة محددة بإطار زمني محصور ومقيد، الشيء الذي يجعلها تؤول بحسب الطول والقصر، فإذا كان الإنسان صادقا في بلوغه الثمانين من عمره في(2 أ)، فلن يكون الأمر صادقا إذا لم يبلغها بأكملها، فهو لا يمكن أن يبلغها في العشرين أو الثلاثين...أو أي جزء من الثمانين السنة التي عاشها، فلا يمكن أن يتحقق البلوغ إلا بالوصول التام إلى الثمانين. الأمر نفسه يمكن أن ينطبق على(2 ب) فإذا كان صادقا أني أنجزت العمل في العاشرة، فلا يمكن أن يكون الأمر صادقا إلا بإنجاز العمل كلّه بوصوله الساعة العاشرة، كما لا يمكن أن يكون صادقا إلا ببلوغ كل الأجزاء المكونة لمدة الإنجاز. فحتى لو أكدّ أحد أن إتمام الكتابة أخذ منّي نصف ساعة (2 ج)، فليس معنى هذا أن الكتابة قد حصلت خلال هذه المدة، والواضح أن ما استغرق النصف الساعة سيرورة من أجل انجاز فعل الكتابة.

إلا أنه من المفيد جدّا أن نؤشر إلى أن السياقات الواردة في (3) تحيل أنه إذا كنت أحب كتابة الرسائل، فلن يكون صادقا أني سأظل أحب الأمر طوال حياتي، أو إن صح إني أكره مشاهدة الأفلام الكلاسيكية، فلا يمكن أن يكون صادقا أني سأكرهها دائما، كما لا يمكن لأحدنا أن يجزم أن مرض زيد لا يمكن أن يكون بشكل دائم ومستمر، إذن أن تحب أحدا أو تكرهه أو تسيطر عليه كلها تجليات زمنية محكومة بالطول أو القصر المحدودين.

بهذا المعنى نجد أنفسنا أمام خطاطة (Schéma) من المعطيات التي تحيلنا مباشرة على قراءة الزمن وفق خلفيات تجعل من البلوغ والاستكشاف ومعرفة الشيء بنىً زمنية تحيل على

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

«الإتمامـات» التـي تقتضي انجـاز فعل في لحظة محـددة، في حين أن الحب أو الكـره أو المرض والسيطرة تحيل في قراءتها على «الحالات» التي قد تستغرق كميّة من الزمن وينتهي أمرها تماما.

هناك بعض المفارقات التي قد تجعل من هذه السـياقات تعرف الكثير من المشـاكل على مسـتوى التأويل، وهي المشاكل التي ترتبط أشد الارتباط بالقدرة على قراءة السياق وفق ما تقتضيـه العمليـة التأويلية بكلّ تلاوينها، على اعتبار أن هـذه المفارقات تدفعنا إلى الخلط بين «الإتمامات» و»الانجازات»، تحديدا عندما نتأمل البنى التالية:

أ.تطلّب منّي بلوغ القمة ثلاث ساعات.

ب.يربح السباق الآن.

ج.عثرت على الحل الآن.

د.عثرت على الحل في ساعة.

تطـرح الأزمنة هنـا بعدين مختلفيـن، بعد يمكن أن يـؤول وفق ما سـتحدده المعطيات الدلاليـة الداخلية للبنى، ووفق ما يمنحها إياه التأويل الاسـتعاري للزمن، فإذا كان الإنسـان في (أ) يستغرق منه بلوغ القمة ثلاث ساعات (إنجاز) فإن ذلك يمكن أن يؤول اعتبارا أن بلوغ القمـة وقـع خلال هذه السـاعات الثلاث كاملـة، أو بمعنى أدق، فإن بلـوغ القمة كان في كل الأطوار التي تتجزأ عبرها ثلاث سـاعات. وهذا أمر مخالف (للإتمامات)، فحتى لو قال أحدنا إن بلوغ القمة أخذ منّا ثلاث سـاعات، فهذا لا يعني أن بلوغ القمة حصل خلال السـاعات الثلاث، اعتبارا أن ما تم استغراقه هو التسلق من أجل بلوغ القمة، وبالتالي فإن الرائز الحقيقي الذي يوضح ذلك يمكن أن يأتينا من خلال إمكانية القول «إنني أبلغ القمة في أي لحظة خلال هذه الساعات الثلاث، غير أنه إذا أخذ منه الأمر ذلك، فإنني لا أستطيع أن أقول: في أي لحظة من هذه المدة سأبلغ القمة؟

نجد سـياق الأسئلة نفسها عندما نتحدث عن فعل العثور والربح، فإذا جزم أحدنا أنه قد عثر على الحل الآن، فإنه سيكون صادقا كونه لم يستغرق في ذلك مدة كما هو الأمر في (د)، الشيء الذي يوفر لنا تمايزا زمنيا يفصل بين إتمام الفعل وإنجازه، فإذا كان العثور قد وقع في لحظة محددة (الآن)، فإن الأمر سيكون مناسبا أن يؤول على الإتمام، أما إذا تطلب العثور ساعة من الزمـن، فليـس معنى هذا أن العثـور على الحل حصل خلال هذه السـاعة، إذ الواضح أن ما تم خلال هذه السـاعة هي المراحل التي تطلبها مني فعـل العثور على الحل، وببلوغ ذلك يتحقق زمن الفعل فيترجم إلى انجاز.

أمـا من زاوية أخـرى فيمكن أن نمايز «الحالات» عن «الأنشـطة» و»الإنجازات» بالنظر إلى أن الحالات تفتقر للزمن المسـتمر، فعندما أقول إنني قد أجري، فإنه سـيكون من المفيد أن نشـير كوني لا أعني بذلك أنني سـأجرى إلا إذا توفرت كل الشـروط من أجل ذلك. تفسّـر هذه المعطيات أن كلّ إتمام يتم في لحظة زمنية فريدة وغير قابلة للتجزئة، أما الجري فسـيرورة تتم في الزمن، وبالتالي لا يمكن أن يقسـم إلى لحظات قابلة للتجزئة، بل يمكن أن نؤشـر على ذلك بالمدة / أو الفترة الزمنية التي تطلبها فعل الجري، وهو الأمر الذي لا يمكن أن ينطبق

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أيضـا عـلى «الحالات» التي لا تقبل هي الأخرى أن تجـزأ إلى لحظات زمنية لذلك قد يكون من الشاذ أن نقول مثلا:(أحبه كل سنة)، (يمرض زيد في ساعة).

من المؤكد أن نفهم كل هذه السياقات على أنها بنى تحمل من الاستعمال الاستعاري الشيء الكثير، اعتبارا أن تأويلها الاسـتعاري يتحقق عن طريق اسـتعارة الإنجاز والإتمام والنشـاط والحالة، وتثار هذه الاستعارة بشكل مشترك عندما تلتبس علينا الرؤية الحقيقة، الشيء الذي يقتضي الكثير من الجهد لكي نتمكن من فكّ شـفرته واسـتنباط الخلفيات الجزئية العميقة التي يؤشـر عليها، وبالتالي يمكن أن نجعل من هذه الأنسـاق الزمنية انسـاقا محوسـبة وفق المعطيات التالية:

الحالةStatus: تؤشر الحالة إلى ظرفية زمنية محددة لكونها تعمل على تأطير الزمن.

الإتمامAchievement: يؤشر الإتمام على خلفية زمنية نعبر عنها بالمدة (ثلاث ساعات)

النشاطActivity: يؤشر النشاط على خلفية زمنية مبنية على التواتر (دائما، كل يوم..)

الإنجـازAccomplishment: يؤشـر الانجـاز على فاصل زمنـي محدد (أنجـزت العمل بين 8 و10)[17]

قد يظهر على السـطح دائما بعض الملابسـات التي تحول دون وضع دقيق للنسـق الزمني في اللغة العربية، وتحديدا المشـاكل التي ترتبط بالتأويل وبقدرتنا على قراءة النسق الزمني بشكل صحيح، فإذا تأملنا مثلا البنيتين التاليتين:

أ.جرى العداء من الواحدة إلى الثانية.

ب.من الواحدة إلى الثانية جرى العداء.

تسـتلزم المقتضيات التأويليـة في (أ) و(ب) أن العداء قام بالجري مدة سـاعة واحدة دون توقـف، وهي مـدة مسـوّرةquantifier(duration) بيـن الواحدة والثانية، بيد أن السـياق الثاني لا يقتضي ذلك، إذ إن التأويل المحتمل يمكن أن يؤشـر على المسـافة التي جرى فيها العداء، وهي المسافة التي تتموقع بين الواحدة والثانية، دون أن يكون قد جراها كلّها، فأبرز المؤشـرات التي تحيل على هذا التمايز في التأويل يفسّـر بناء على إمكانية تجزئة الجري في (أ)، وعدم قابليته للأمر في (ب).

إن الإشـكال الحقيقـي الذي يمكن أن يعانـي منه التأويل الزمني لهـذه الأفعال يكمن في المعطيـات التقنيـة التـي نحاول أن نقنـن من خلالها الزمـن، بمعنى أننا نحـاول أن نكيّف الإنجازات والإتمامات والأنشـطة والحالات وفق نسـق للأفعال في علاقته بالسـمات المميزة لطبيعة الزمن، ممّا يعطي الانطباع أننا سنخطئ إذا ما حاولنا أن نفسّر الاستعمالات المألوفة لهذه الأفعال خارج ما يقتضيه التأويل المناسـب والقراءة المستهدفة، أما العبارات التي تقع على التخوم فما هي إلا شـواذ لا يمكن أن يقاس عليها، تسـاعد على إحياء كل أشـباح نظرية المعرفـة، ففي الوقت الذي يجب أن تأخذ على عاتقها إيجاد السـبل لمنسـقة التأويل الزمني لهـذه الأفعال، فإنهـا تبحث عن معيقات قليلة لا يمكن أن تسـاهم في تطوير اللغة بقدر ما تساهم في تكريس البحث غير المجدي الذي لا طائل من ورائه.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

إذا قبلنـا بالتمايـز الموجود بين هذه الأزمنة في علاقتها بالمبدأ العام للتأويل، فسـيتعين علينا أن نقبل بوجود العديد من الخلفيات التصورية المحيلة على نسق استعاري يتم التمثيل له بواسـطة اللغة، فالاسـتعارة بهذا المعنى متعلقة بالاسـتعمالات اللغوية التي تدفعنا إلى القـول إن كل الكيانـات التـي لا يكون فيها الأمر مرتبطا بالاسـتعارة، تكون عبارة عن سـبل مغلقة لا تضمن انفتاح اللغة على التأويل، بل لا يمكن اعتبارها ظاهرة لها علاقة بالسـيرورة لأنها ليست ظاهرة سياقية.

إن ربط اللغة بالتأويل يعود بالأساس إلى النسق الذي يفرض علينا أحيانا أن نقرأ الزمن من زوايـا مختلفة،إذيفرض علينا أيضا أن نجعل من المعرفة والبلـوغ والكتابة والحب... طبقات فعليـة لا يمكـن أن تقوم إلا بالنظر إلى طبيعـة الزمن الذي تقع فيه، بل إنها أفعال تُفحص)checking)وفق خاصيات زمنية محضة من قبيل التواتر، السيرورة، اللاسيرورة، المحدودية، اللامحدودية، المدة، الفترة.... الخ، إننا نجعل من التصورات رموزا إيحائية تسـاعدنا على فهم تصوراتنا للزمن، وتسـاهم أيضا في رسم خطاطة تقنية عن طبيعة الحمولة الاستعارية التي نبني من خلالها نسقنا التصوري.

ومن أجل فهم هذه الفكرة سنعود من جديد إلى التراكيب التي تم الاعتماد عليها في البداية، وتحديـدا البنى الموظفـة في (1) و(2) و(3) التي فرضت علينا منطقيا أن نبحث عن التمايز الموجود بينها، كما تم وضع كل تلك التأويلات المرتبطة بالإنجاز والإتمام والنشـاط والحالة باعتبارهـا طبقـات تأويليـة عميقة لا يمكن أناسـتنباطها إلا من خلال انبثـاق ذلك التفاعل التأويـلي المفتـرض بينها وبيـن اللغة من جهة، وبينهـا وبين أنسـاقها التصورية من جهة أخرى، وفي جميع الحالات تكون هذه النتيجة نتيجة خالصة لا علاقة لها بالقصدية، فبإمكاننا أن نؤول تلك البنى وفق منطق اسـتعاري خاص، شـريطة أن تسعفنا في ذلك لغتنا وأنساقنا التصورية وخلفياتنا المعرفية والنظرية، ولهذا سيكون من المفيد أن نؤول الجمل الواردة في)1) و(2) و(3) باعتبارها مؤشرات استعارية تحيل إلىالإنجازوالإتمام والنشاط والحالة.

فمعيار المشـروعية لا يمكن أن يأتي إلا من خلال السياق العام الذي تفرضه على مستعمل اللغـة، فـإذا كان بلوغ القمة والحب والكتابة والجري تؤشـر على سـياقات زمنية خاصة، فإن التأويل الاسـتعاري لها لن يكون ممكنا إلا إذا تم تحميلها ما لا طاقة لها به، وذلك من خلال إخراجها من زاويتها الضيقة إلى زوايا أكثر انفتاحا واتساعا لكي تشمل الإنجاز والحالة والإتمام والنشـاط. إذا كانت هذه النتائج تقترب من الصواب، فإنها ستسـاعدنا حتما في فهم سـيرورة الإبداع الاستعاري، بل إن فهم هذه السيرورة معناه فهم الكيفية التي تفرض من خلالها بعض التراكيب نفسـها باعتبارها تسـاهم في خلق اكتشـافات جديدة، كما لو أنها نتاج فكر غير واع، فمن المهم جدا أن نفهم الفرق بين هذه الأنسـاق الزمنية باعتبارها موضوعا لسانيا وُضع بيد الباحثين من أجل البحث فيه واسـتخلاص نتائجه لكي نسـاهم في منسـقة المعجم ومنسقة طرق تفكيرنا من جديد.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

3-3 تأويل البنية الداخلية للزمن.

إذا كان الحديث عن معطيات تكشف من خلالها اللغات الطبيعة عن إمكان إقامة توافق قوي بين تصورنا للأشياء وتصورنا للأوضاع، فإن النظر إلى الأوضاع باعتبارها الوجه الأنطولوجي الآخر للأشياء لا يحتاج إلى أنطولوجيا خاصة بالأوضاع وأخرى خاصة بالأشياء، لأن أنطولوجية واحدة تبدو كافية للحديث عن الكيانات بشكل العام[18]، والزمن أحد أبرز البنيات التي يجب أن تدخل إلى مجال الحوسبة من أجل فك لغزه، والكشف عن أبرز العوامل والسمات التي تدخل في تشكيله، والبحث عن التأويلات الاستعارية المناسبة التي تنقشع من خلال مجموع البنيات الداخلية التي يمثلها من جهة، وتملكها بعض التصورات حوله من جهة أخرى.

يجعلناالمعطى البسيط الذي نمتلكه حول الزمن نفسّر المعطيات التركيبية التالية وفق ما يلي:

)1(

أ.بلغت القمة في ساعة.

ب.أكملت انجاز واجباتي في ساعة.

)2(

أ.ألمح الضوء باستمرار.

ب.أصلي كل يوم.

تقود القراءة التأويلية البسيطة لهذه السياقات نحو اعتبار أن البنى الموظفة في (1) تعبّر عن سياقات زمنية تمتاز بالمحدودية، ولا يعني ذلك أن تكون إحالتها مبنية على التجزئة بالنظر إلى أن بلوغ القمة وإكمال انجاز الواجبات ينقضي بانتهاء مدة إنجاز الفعل وإتمامه، أما التراكيب الواردة في (2) فتحيل مباشرة على نوع خاص من الأفعال التي تتكرر كلّ يوم بشكل مستمر في الزمن، بالنظر إلى إمكانية إحالتهما إلى أجزاء صغرى قابلة لكي تكون أطرافا من ذات النوع، وعليه، يتم رصد هذه التمايزات من خلال وسيط داخلي يعرف بـ [± محدودية]، والمحدودية هنا تقيس البنية الزمنية الداخلية للحدث، وهي البنية التي تؤشر إلى أن الحدث في كل هذه الأنساق الزمنية الداخلية هو حدث مغلق يملك نقطة نهاية محددة في الزمن؛ أي أن الحدث يبلغ أوجه في الزمن فينتهي الفعل باكتمال إنجازه، وهو الانغلاق الذي يجعلنا نؤول البنى الزمنية أعلاه وفق التفاعل المفترض بين البنية الزمنية الداخلية وبين المسار الزمني المغلق.

لقد سبق التأشير إلى وجود ظاهرة التحول الدلالي أو ظاهرة الانزلاق الدلالي (Semanticdrift) وهي نظرية شائعة في طبقات الأفعال إذ بموجبها يمكن أن تنتقل أو تتحول أفعال الإتمام إلى أفعال الإنجاز إذا تواردت مع مركبات اسمية دالة على عدد الجمع، أو على كميّة العدد المحصور، أو إن دلّت على تكرار المعدود، وقد تتحول إلى أفعال النشاط إذا اقترنت بأسماء دالة على جمع غير محدود، كما أن أفعال الإنجاز قد تدل على النشاط إذا وزّعت على أسماء غير مخصصة في كمّيتها العددية كأن تدل على الكتلة أو جمع غير محدد.[19]

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

إن مـا يهمنـا من هذا الانزلاق هو ذلك التحول الذي يمكن أن نقرأ من خلاله الإنجاز باعتباره كتلـة، ونقرأ من خلالـه الإتمام باعتباره معدودا، والنشـاط باعتباره كمّيـة جمع غير معدود، والحالـة كمّية محدودة.... الشـيء الـذي يخصص لنا أنّنا أمام أنسـاق زمنيـة جديدة تتجاوز النشـاط والإتمام والإنجاز والحالة إلى الكتلة والجمّاع والمعدود، فنفسّر البنيات السابقة على أسـاس تأويلاتهـا الداخلية التي تحول الفعـل إلى حدث، والحدث إلى إنجاز أو حالة أو نشـاط أو إتمام، ومن ثمة تتحول هذه الأحداث إلى كثلة أو جمّاع أو معدود... ممّا يؤشـر أن النسـق الزمنـي في اللغة العربية يملك جوانب متعـددة للتحليل وغنىً داخليا لا مثيل له، يتجاوز كل النظريـات التي ظلت لفترات طويلة تدعم فرضية الفقـر الزمني للغة العربية، وما يدل على ذلك هي التراكيب التالية:

أ.وصلت إلى محطة القطار.

ب.وصل بعض المسافرين إلى محطة القطار.

ج.وصل خمسة مسافرين إلى محطة القطار في ساعة.

د.كتبت رواية ممتازة في سنة.

نسـتخلص، بالنظـر إلى هـذه التراكيب، أن تفاعلا مـا داخليا يُحوّل قـراءة المحدود للحدث إلى قـراءة غيـر محدودة زمنيـا، فالظرف الزمني الدال على مقدار محدود من الزمن (في سـنة) (د) نجـده يتوافق مـع الأفعال التي تحيل على الإنجاز، بخلاف الظـروف التي تحيل على عدم المحدودية.

تبيّـن التراكيب الـواردة أعلاه الكيفية التي ينتقل من خلالها فعل الإنجاز إلى فعل نشـاط بمجـرد مـا يقترن بجمـع غير محصور كما هو مؤشـر عليه في (ب)، وهو الاقتران نفسـه الذي يحوّلـه إلى إنجـاز بمجرّد ما يربط بجمع معـدود(ج)، لأن الجمع هو الذي يمنـح الفعل امتدادا زمنيـا، وبالتـالي يخرجه من طبقة الإتمامات، إلا أن الأمر قـد يظهر مقتضيات جديدة بالنظر إلى السياقات التالية:

)1(

أ.كتب رواية.

ب.كتب رواية / روايات في سنة/ لمدة سنة.

)2(

أ.أكلت اللحم.

ب.شربت الدواء / الزيت في دقيقة / ساعة / لمدة ساعة.

يتحول بموجب السياق الوارد في (1) فعلالإنجاز(كتبت) إلى فعل نشاط نظرا إلى أن الرواية / الروايات أسـماء تفتقر إلى كمّية عددية محصورة، فهي دالة على التحديد الجنسـي (رواية)، ونعلم أن الجنس يفيد سـمة الاسـتغراق والعموم ولا يفيد التخصيص العددي أو التفرد. كما نجد أيضا أن (الروايات) ملتبسـة بين جمع غير معدود وبين تعداد النوع، وهو الالتباس الذي يُردّ تحديدا إلى التباس سمة التعريف بين الدلالة على العهد والدلالة على الجنس.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

ويكشف السياق الوارد في (2) الكيفية التي تفرض من خلالها أسماء الكتلة قراءة غير محدودة، بموجب أن الهندسة الفضائية لبنيتها الداخلية لا يمكن أن تخصص كمية محددة، فهي ذات بعد كمّي يخصص اسم الكتلة في كمية غير محصورة (لحم + لحم = لحم) بينما (كتاب + كتاب = كتابان)، وبالتالي تصير المحمولات الفعلية أثناء إسنادها محمولات لا تقبل التجزيء، وبالتالي نجد أن عدم التجزيء والتراكمية والانسجام ينسجم بشكل مباشر مع النشاطات باعتبارها سيرورات ممتدة في الزمن، كما أنّها تقبل ألا تكون مغلقة في حيز زمني محدد. فإذا كانت الأدبيات اللسانية قد أكدت أن الكتلة يجب أن تكون محايدة، فما يكون موسوما هو المعدود، لذلك قد يبدو أن أي نظام لسمات يجب أن يكون جيهيا[± حد]،[± بنية داخلية]، [± ذرة] كلها سمات حاول الفاسي الفهري أن يدخلها إلى النظام الحاسوبي محاولا أن يطابق بين طبقات الأفعال (الإتمام، الإنجاز، الحالة، النشاط) وطبقات الأسماء (فردة، جُماع، كتلة، جنس)[20]

نصل إلى خلاصة مفادها أننا لا يمكن أن نقيد الأفعال ضمن طبقة محددة بشكل مسبق، بل يجب أن نراعي في ذلك مجموعة من الاعتبارات التي تُمتح من الهندسة الفضائية لبنياتها الداخلية، الشيء الذي يؤكد الطرح الذي انطلقنا منه، وهو ضرورة التركيز على كلّ البنيات الداخلية قبل الحسم في الوجهة الزمنية المقصودة، بل إن هذه الخلاصة تقودنا، حقا، إلى اعتبار أن تلك الطبقات الزمنية التي تكلمنا عنها تعيش حركة سيرورة تفاعلية قد تنقل النشاط إلى إنجاز، والإنجاز إلى إتمام، وهكذا، بل إنها أيضا سيرورة قابلة للتأويل والقراءة من جوانب مختلفة تجعلنا نعتبر الإنجاز كمّية زمنية محدودة، ونعتبر النشاط كمّية زمنية غير محدودة، وهكذا...

إذن، نحن بصدد معالجة مهمة لمسألة معجمية معقدة جدّا، وهي المسألة التي تفترض وجود مجموعة من البنيات الداخلية من قبيل:[± محدود]،[± سيرورة]،[±انجاز]،[± إتمام]، وهي بنيات لا تؤشر عليها الأفعال في المعجم، بقدر ما يتم استحضارها عبر سمات تبنى فقط في التراكيب بواسطة حوسبة تأليفية.[21]

وبهذا يكون نسق سمتي[± محدودية] في علاقته بالبنيات الداخلية ينطبق على الأحداث السالفة زمنيا على الشكل التالي:

[+ مع] حدث مغلق (بلغت القمة في ساعة)

[+ مع] حدث تكراري محدود (أكتب رواية)

[- مع] سيرورة غير محدودة (أنام)

[- مع] سيرورة تكرارية غير محدودة (أصلّي باستمرار)

إذا كان التصور التقليدي للمعجم قد اهتم بشكل كبير بالقواعد ولم يتجاوزه، فإننا نهتم بالجانب الدلالي الذي سيكون مقيدا جدا في رسم الخطوط الكبيرة للمبدأ الذي نتبناه في الدفاع عن تفاعلية طبقات الأزمنة، وهو الأمر الذي يعني أن المعجم يجب أن يقوم تحديدا على رصد العلاقة التي تقوم بين التركيب والدلالة، من جهة، وبين الدلالة وتصوراتنا للأشياء والأوضاع في العالم من جهة أخرى.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

خاتمة

إذا كانت الآليات العصبية والمعرفية تتيح لنا إمكانية الإدراك والتحرك، فإنها تكون مسؤولة في السياق نفسه عن خلق أنساقنا التصورية، وصيغ تفكيرنا، ولذلك حاولنا أن نبيّن أنه لكي نفهم الزمن، علينا أن نفهم تفاصيل أنسقتنا التصورية والآليات العامة للعناصر العصبية، ليكون الزمن بكلّ سماته المتعالقة داخليا، وبجميع هندساته الفضائية قادرا على تشكيل صورة حاسمة لدينا بمميزات اشتغالنا اليومي به، وبرصد التفاصيل الاستثنائية للبنية العصبية لأذهاننا، هي التفاصيل التي ندركها من منطق انشغالنا الإيجابي بمنسقته والبحث عن سبل تصوّرنا له، لذلك يكون التأويل والقراءة والاستعارة أركانا مبدئية إلزامية لكي نتسامى عن كلّ ما من شأنه أن يَحُول بيننا وبين الزمن، فالوقت إدراك نفسي، وتجربة ذاتية، واحتكاك يومي مع المحيط، بل إنه تصور عصبي ينمو معنا وننمو معه، يصاحبنا ونصاحبه، يفعل فينا ونفعل فيه، نتفاعل معه ويتفاعل معنا، نؤثر فيه ويؤثر فينا، إنه الصديق الذي لا تنكشف أسراره إلا بمروره اللامرئي، فيخترقنا ونخترقه، فنتصور كأن هناك تفاعلا بيننا وبينه، هو التفاعل الذي نحدد من خلاله أنّنا كائنات فاعلة قادرة على تحديد العالم الخارجي، كائنات لغوية بإمكانها أن توافق بين العالم الخارجي وبين أنسقتنا التصورية. وعليه، فنظرية التوافق تحيلنا إلى أن الأحكام والقضايا هي صادقة أو كاذبة بصورة موضوعية ارتباطا بتوقف ذلك على مدى مطابقتها بصورة مباشرة للعالم.[22]

إن البنيات العصبية لأدمغتنا تنتج أنساقا تصورية وبنيات لغوية لا يمكن رصدها بصورة كافية بواسطة أنساق صورية تقتصر على معالجة الرموز، بل إن ذلك يقتضي، بالضرورة، أنساقا تصورية واستعارية تقبل التأويل وتُمجّده، تجعل من الأنساق التركيبية أنساقا قابلة للفحص والحوسبة. إننا نبني نظاما حاسوبيا(المعجم) نحقق من خلاله إنجازاعظيما يبشّر بمستقبل جيّد في البحث عن علاقة الزمن بأفكارنا وتصوراتنا حوله، إنه دخول إرادي يراعي إمكانية القبض عليه ومطاوعته لنا. فبدون الآليات التجريبية لن تجد هذه الخلاصات طريقا إلى الدلالة المعرفية، فالتفكير الدلالي إن لم يتصل بالاستعارة لن يتمكن من كشف التفاصيل الجوهرية للزمن، ولن يتمكن،أيضا، من إقامة المظاهر الداخلية التي نناقشها من خلالها، فنحن في حاجة دائمة إلى استخدام كل المناهج والسبل التي تكون قادرة على فهم البنية النسقية للزمن.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

المراجع العربية

- امبيرتو إيكو(2004)، التأويل بين السميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء المغرب.
- تريزا دوبرزينسكا (2011)، ترجمة الاستعارة: مشاكل المعنى، ترجمة شكيب بنيني، ضمن الاستعارة والمعرفة، مختبر اللسانيات والتوصل، إعداد خالد برادة، عبدالمجيد جحفة، منشورات المختبر،/ كلية الآداب، بني امسيك — البيضاء.
- جاكندوف (2002)، الدلالة مشروعا ذهنيا، ضمن دلالة اللغة وتصميمها، ترجمة محمد غاليم، دار توبقال للنشر، المغرب.
- جورج لايكوف (1992)، النظرية المعاصرة للاستعارة، ترجمة محمد الأمين مومن، ضمن الاستعارة والمعرفة مختبر اللسانيات والتوصل، إعداد خالد برادة، عبدالمجيد جحفة، منشورات المختبر،/ كلية الآداب، بني امسيك — البيضاء.
- ديكلي وفلاكول (1998)، الدلالة المعرفية للعمل، ترجمة أحمد برسول،ضمن أبحاث لسانية، المجلد 5، العدد 1: 2000، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط.
- عبدالمجيد جحفة (2011)،أجسادنا في الفضاء تولد الاستعارات، ضمن الاستعارة والمعرفة، مختبر اللسانيات والتوصل، إعداد خالد برادة، عبدالمجيد جحفة، منشورات المختبر،/ كلية الآداب، بني امسيك — البيضاء.
- عبدالمجيد جحفة (2000)، مدخل إلى الدلالة التوليدية، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء، المغرب.
- عبدالمجيد جحفة (2006)، دلالة الزمن في اللغة العربية، دراسة النسق الزمني للأفعال، دار توبقال للنشر، المغرب.
- عبدالقادر الفاسي الفهري(2005)، سلسلة محاضرات وعروض بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب.
- سيلفان أورو (2010)، فلسفة اللغة، ترجمة عبدالمجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت، لبنان.
- فاندلر زينو(1967)،الأفعال والأزمنة، ضمن دلالة اللغة وتصميمها، ترجمة عبدالمجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب.
- كريستوف بوميان (2009)، نظام الزمان، ترجمة بدر الدين عرودكي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- لايكوف وجونسون (1980)، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبدالمجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب.
- لايكوف وجونسون (2011)، من نكون؟ ترجمة عبدالمجيد جحفة، ضمن الاستعارة والمعرفة، مختبر اللسانيات والتوصل، إعداد خالد برادة، عبدالمجيد جحفة، منشورات المختبر،/ كلية الآداب، بني امسيك — البيضاء.
- محمد غاليم (2007)، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب.
- محمد غاليم (2001)، سمات جيهية في الأشياء والأوضاع، أبحاث لسانية، المجلد6 العدد 2، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط.
- محمد غاليم (1999)، المعنى والتوافق، مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، المغرب.
- محمد الملاخ (2010)، الزمن في اللغة العربية، بنياته التركيبية والدلالية، دار الأمان، الرباط.
- المراجع الأجنبية
- Chomsky,N)1975(. **Reflection on Language,Pantheon, New York-**
- .Croft, W & Cruse, D)2004(. Cognitive Linguistics. Cambridge: Cambridge University Press-
- .Croft, William)1998(. Linguistic Evidence and Mental Representations. Cognitive Linguistics, Cambridge University Press-
- .Evans, V.)2005(. The Meaning of Time: polysemy, the lexicon and conceptual structure.Journal of Linguistics-
- .Evans, V.)2004(. The Structure of Time: Language, Meaning and Temporal Cognition. Amsterdam: John Benjamin-
- Fodor & Garrett)75(. The psychological unreality of semanticrepresantation.LI6-
- Katz)72(, Semantic Theory, Harper &Row publishers -
- Katz & Fodor)63(.The structure of a semantic theory, Language, 39-
- Lakoff, G.)1993(. The Contemporary Theory of Metaphor. In A. Ortony)ed.(,Metaphor and Thought, 2nd edition Cambridge:- .Cambridge University Press
- .Lakoff, G., & Johnson, M.)1999(. Philosophy in the Flesh. New York: Basic Books-
- .Lakoff, G., & Johnson, M.)1980(.Metaphors We Live By. Chicago: University of Chicago Press-
- .Miller & Johnson- Laird)1976(. Language and Perception.Harvard University Press -
- Newton)1759(. Principes Mathématique de la Philosophie Naturelle, traduit de l'anglais par Madame du Chastelle, Desaint et- .Saillant, Paris, France
- Radden, Günter.)2003(. The Metaphor TIME AS SPACE across Languages Baumgarten, Nicole/ Böttger, Claudia/Motz, Markus/Probst,- Julia)eds.(Übersetzen, Interkulturelle Kommunikation, Spracherwerb und Sprachvermittlung -das Leben mit mehreren Sprachen. .239-226 ,)3/Festschrift für Juliane House zum 60. Geburtstag.Zeitschrift für Interkulturellen Fremdsprachenunterricht]Online[, 8)2

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الهوامش

1. للاطلاع أكثر عن القيود الدلالية التوافقية يرجى العودة إلى محمد غاليم (1999)، المعنى والتوافق، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط
2. للاطلاع على هذه المعطيات يرجى العودة إلى كتاب «المقارنة والتخطيط» للفاسي الفهري (1998)، أو البرنامج الأدنى» لتشومسكي (1995). إذ يفترضان في مسألة الدمج المعجمي أن كل كلمة في المعجم تحتوي على الكثير من السمات المصهرة داخلها بصورة محوسبة ومنطقية مثلا الفعل «لعب» يمتلك سيمات معجمية مصهرة داخله من قبيل +متعدي، + حدث، + زمن، + محور...
3. جهة الحدث: على مستواها يتم تحديد القدرة التأويلية للمنفذ من خلال قابليته للقيام بالحدث، بل قابليته لكي ينساب ويتدفق وفق ما يتطلبه السياق ووفق ما تتطلبه الإرادة، بمعنى أدق قد يحمل المنفذ قوة تموقعية أو إحالية كبرى تجعل من الحدث إطارا مرجعيا في قراءته.
4. جهة الحركة: هي الجهة المسؤولة على فرز كل أنواع الحركة في عموميتها دون أن تكون هناك مؤشرات على حصره أو الحد من تدفقه، مما يجعل من المنفذ منسجما مع مجموعة من الأفعال من قبيل: يزحف / يصطحب... فالزمن بنية مطلقة مفتوحة على كل شيء.
5. للاطلاع على الدور الذي لعبه الوقت في تغيير مسار حياة الانسان يرجى الاستعانة بمؤلف: نظام الزمان لكرستوف بوميان في نسخته المترجمة إلى اللغة العربية عن المنظمة العربية للترجمة، بيروت (2009(
6. كلّ هذه التصورات أوهام بشرية صنعها لنفسه لكي يقرّب المسافة التجريبية بينه وبين شبح الوقت، وإلا فما معنى أن تجعل كلّ ثقافة من نظام قياسها للزمن نظاما مختلفا خاصا بها، فالمسلمون مثلا يقسّمون يومهم بناء على مواقيت الصلاة، وهي مواقيت تختلف تماما على ما تخبرنا به الساعات والدقائق، فالصبح يؤشر على أننا أمام الفترة الصباحية، والظهر أننا أمام الظهيرة، والعصر أمام الزوال، والمغرب إلى الزوال، والعشاء إلى المساء / الليل. وهو نظام قياس آخر لا يعترف بالساعة ولا يعيرها اهتماما، على الأقل أنها مواقيت سابقة على اكتشاف الساعة، والأمر نفسه نجده في العصر الوسيط حيث كان اليوم موزعا إلى فترات تحددها الكنيسة عبر قرع منبهات ضخمة تنبههم بمواقيت يومية محددة... وهكذا.
7. امبيرتو إيكو(2004)، التأويل بين السيمائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد،المركز الثقافي العربي،ص145،165
8. بين «جاكندوف» إلى جانب «جونسون ولايكوف» و«ايفانس» أن الزمن مُبنيَن بمفاهيم فضائية دلاليا، وأن تحديد الموقع الزمني (المسار الزمني / المدة الزمنية / اللحظة الزمنية)، يتم بنفس الطريقة التي يتم بها التحديد الفضائي، هذا التصور الذي يجعل من بنيتنا التصورية تؤوّل الزمن وفق زاويتي نظر مختلفتين: الزمن ثابت ونحن نتحرك في اتجاهه، أو نحن ثابتون والزمن يتحرك في اتجاهنا. ممّا يعطي الانطباع أننا نعمل على تأويل الكثير من السياقات الفضائية باعتبارها سياقات زمنية من قبيل: سألتقيك يوم غد، انتظرك مكالمتك بعد غدا، سأسافر الأربعاء القادم.... وهكذا.
9. تحدث «لايكوف وجونسون» في مقدمة الاستعارات التي نحيا بها أن التصورات التي تتحكم في تفكيرنا ليست ذات طبيعة ثقافية وحسب، بل تتحكما أيضا في سلوكاتنا اليومية البسيطة، فتصوراتنا تبنين ما ندركه وتبنين الطريقة التي نتعامل بواسطتها مع العالم، وبهذا يؤدي نسقنا التصوري دورا مركزيا في تحديد حقائقنا اليومية،فإذا صح أن نسقنا التصوري في جزء كبير منه ذو طبيعة استعارية، فإنه يرتبط بشكل كبير بالاستعارة.
10. Paul Ricoeur)2004(, The Rule Of Metaphor,The creation of meaning in language, published in the Taylor & Francis e-Library.Routledge-
11. نقصد بالعشيرة اللغوية كل جماعة بشرية تتكلم اللغة نفسها من منطلق فكري وثقافي وحضاري مشترك، أي أنها تملك جميع الأنظمة اللغوية التي تحقق التواصل فيما بينها عبر احترام تام لجميع المستويات التركيبية والصرفية والصوتية والمعجمية...
12. لايكوف وجونسون (80)، الاستعارات التي نحيا بها، ط.2، ص، 23
13. جاكندوف (2002)، الدلالة مشروعا ذهنيا،ص 13
14. جاكندوف (2002)، الدلالة مشروعا ذهنيا،ص،12
15. عبد المجيد جحفة (2000)، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص 100، 101
16. للتوسع أكثر أنظر جحفة (2000)، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص،22
17. للتعرف أكثر على هذه الجزئيات يرجى الاطلاع على عمل فاندلر(67)، الفاسي الفهري(2005)، سلسلة محاضرات وعروض بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب)2004( )2005(،
18. هناك ظاهرة تعرف في اللسانيات الحديثة بنظرية الانزلاق الدلالي (Semantic Drift)، وهي نظرية شائعة في طبقات الأفعال، إذ تتحول بموجبها الإتمامات إلى إنجازات أو نشاطات... الشيء الذي يعكس أن هذه الطبقات لا تشكل جزرا لا تتقاطع فيما بينها، بل بإمكان أن تتحول الانجازات (بلغت القمة في ساعة) إلى إتمامات (بلغت القمة الآن) أو إلى حالات (أحب بلوغ القمة) أو نشاطات (أجري نحو بلوغ القمة).
19. محمد غاليم (2001)، سمات جيهية في الأشياء والأوضاع،ضمن أبحاث لسانية،ص 12
20. محمد الملاخ (2009)، الزمن في العربية، ص: 342.
21. عبدالقادر الفاسي الفهري(2004-2005)، محاضرات حول الشكل والتأويل بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط.
22. محمد الملاخ (2009)، الزمن في اللغة العربية، ص: 344.
23. لايكوف وجونسون (2011)، من نكون؟ ترجمة عبدالحميد جحفة، ضمن الاستعارة والمعرفة، منشورات المختبر، ص: 109.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً